

عناية السور المدنية بمسائل العقيدة
نماذج ومعالم

الدكتور
عبد الله عيدان أحمد الزهراني
الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والأنظمة
بجامعة الطائف

عنوان البحث : عناية السور المدنية بمسائل العقيدة نماذج ومعالم كلمات مفتاحية : سر الفصاحة – ابن سنان – المفترى عليه – إقحام موضوعات– بلاغية – تكرار –.

اسم الباحث : عبدالله عيدان أحمد الزهراني
عنوان الباحث : كلية الشريعة والأنظمة بجامعة الطائف
التوصيف الأكاديمي: أستاذ مساعد
الإيميل الخاص:a0504581530@gmail.comhgYdldg

ملخص البحث باللغة العربية

يدرس هذا البحث عناية السور المدنية بالعقيدة الإسلامية، وذلك من خلال استعراض بعض الآيات من السور المدنية التي جاءت بتقرير أركان الإيمان، وذكر مسائل عقدية أخرى أولتها السور المدنية عناية خاصة؛ لتقريرها في نفوس المؤمنين، ثم ذكر بعض معالم عرض العقيدة في السور المدنية تظهر من خلال التأمّل في آياتها.

وأهداف هذا البحث تتلخص في: بيان مدى عناية السور المدنية بالعقيدة، ومعرفة نماذج للمواضيع العقدية التي ذُكِرت فيها، وتوضيح بعض معالم عرض العقيدة فيها أيضاً.

ومنهج البحث اعتمد على المنهج الاستقرائي، وذلك باستعراض المواضيع العقدية في السور المدنية، ومِن ثَمّ بيان بعض الآيات التي جاء الحديث فيها عن تلك المواضيع العقدية.

وأهم النتائج التي تم التوصل إليها في البحث: أنّ الموضوع الرئيس في القرآن الكريم -مكّيّه ومدنيّه- هو موضوع العقيدة، وأنّ السور المدنية لا تقلّ عن السور المكية في عنايتها بتقرير العقيدة بتنوّع مسائلها، وأنّ القول بأنّ الموضوع الرئيس في السور المدنية هو التشريعات والتنظيمات وليس العقيدة قولٌ غير دقيق؛ فإنّ تلك الأحكام والتشريعات تُربط بالعقيدة بشكلٍ أو بآخر.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

This research studies the caring of Madani Surat with Islamic Creed throughout reviewing some Quranic verses extracted from the Madani Surat that represent and settle the Islamic Faith Pillars, as well as mention other doctrinal topics, with which the Mdani Surat focused on to settle and fix in Spirit of believers. Furthermore, I mentioned the features of reviewing the Islamic creed in the Madani Surat that could be manifested through close examination of its verses.

This research aims to identify how the Mdani Surat cared with Islamic Creed, as well as knowing models for doctrinal topics that mentioned in it. The research also aims to identify some of the features of reviewing and showing the Islamic creed in that Surat.

The research used the inductive method through showing and reviewing the doctrinal topics in the Madani Surat, and then identifying some verses that addressed these topics.

The research came to that the main topic in the holy Quran, either in the Madani or Makki Surat, is the Islamic Creed Topic, and that the Madani Surat are not less than the Makki Ones in caring with the Islamic Creed. Furthermore, the opinion saying that "The Main Topic in the Madani Surat is the Legislations and Regulations not the Islamic Creed" isn’t accurate as these regulations and legislations are connected to the Islamic creed in one way or another.

غ غ

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنزل إلينا أفضل كتاب، وجعله موعظة وذكرى لأولي الألباب، وضمّنه ما يجب اعتقاده، وحقق به لأوليائه السعادة، أحمده سبحانه وأشكره على ماهدانا إليه من تعلّم القرآن والسنّة، وما مَنّ به علينا مِنْ ذلك أعظم مِنّة، وأصلي وأسلم على خير البرية، ومعلّم الإنسانية، نبينا محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، أما بعد:

فإنّ القرآن الكريم هو النور المبين، أنزله رب العالمين، ليكون هدى للمتقين، وموعظة وذكرى للمؤمنين،

ولا شك أنّ أعظم هدايات القرآن العظيم ومواعظه هو ما هدى إليه من العقيدة الصحيحة، والتحذير مما يناقضها من العقائد الباطلة القبيحة.

والمتأمل في آيات هذا الكتاب المبارك يجد أمر تقرير العقيدة الصحيحة هو الهدف الأسمى للقرآن، وعليه دار الحديث في سوره المكية منها والمدنية على حدٍّ سواء.

ومن العجيب أن يظنّ البعض أنّ السور المدنية لم تتناول موضوع العقيدة بالقدر الذي تناولته به السور المكية، أو يحسب أنّ السور المكية انفردت بالحديث عن العقيدة دون السور المدنية!.

وقد يكون سبب هذا الظنّ أنّ كثيراً ممن ذكر بعض ما يميّز المكي عن المدني من سور القرآن الكريم قد عدّ مِن ذلك أنّ السور المكية تركّز العقائد،

بينما تتناول السور المدنية التشريعات والأحكام؛ لكن الذي لا يُسلّم هو قول مَن يدّعي أنّ الموضوع الرئيس في السور المدنية هو التشريعات والتنظيمات، وليس العقيدة.

والسور المدنية وإن كانت قد احتوت على التشريعات التفصيلية، وتناولت الأحكام العملية لبعض العبادات والمعاملات؛ كأحكام بعض الصلوات التي لم تشرع في مكة، والصيام، والزكاة، والنكاح، والطلاق، والقصاص، والبيوع، والمداينات، والحدود، والمواريث، ونحوها، إلا أنّ موضوع العقيدة هو الموضوع الرئيس في كل سورها، بل إن تلك الأحكام والتشريعات تُربط بالعقيدة بشكلٍ أو بآخر.

ومن هنا جاء هذا البحث كاشفاً لاهتمام السور المدنية بموضوع العقيدة، وأنها لا تقلّ عن السور المكية في ذلك، فلا شك أنّ موضوع العقيدة هو الموضوع الأهمّ في القرآن كله، وأنّ الخيط الذي ينتظم التشريعات والأحكام والتنظيمات هو خيط العقيدة؛ بل قد جاءت في السور المدنية أحكام عقدية بتفصيلٍ لم تأتِ به السور المكية، كما سيظهر ذلك في ثنايا هذا البحث بإذن الله تعالى.

أهداف البحث:

يمكن إيجاز أهداف هذا البحث فيما يلي:

ى- بيان مدى عناية السور المدنية بشأن العقيدة

٢- ذكر نماذج وأمثلة المواضيع العقدية التي ذُكِرت في السور المدنية، على وجه الإجمال، سواء ما جاء فيها على وجه التقرير لما ذكر في السور

المكية، أو ما كان فيه تفصيلٌ لبعض الأحكام العقدية الأخرى.

٣- توضيح بعض معالم عرض العقيدة في السور المدنية.

أسباب اختيار الموضوع:

إنّ الأسباب التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع تتخلص فيما يلي:

٤- الرغبة في توضيح العناية الكبرى التي وجدت في السور المدنية بمواضيع العقيدة.

٥- عدم وجود كتابة متخصصة -حسب اطلاعي- تؤكِّد على أنّ السور المدنية أَوْلَت جانب العقيدة اهتماما كبيرا.

٦- تصحيح المعلومة الخاطئة التي تروج لدى بعض الناس عن مواضيع السور المدنية، وهي أنها اعتنت بذكر الأحكام والتشريعات فقط، وأنّ العناية بالعقيدة إنما كان في العهد المكِّي، وقد يكون سبب هذه المعلومة الخاطئة هو الفهم الخاطئ لما ذكره بعض العلماء مِنْ أنّ مِن الضوابط التي يُعرف بها المكي من المدني أنّ السور المكِّية اعتنت بتقرير أسس العقيدة، لا سيما "وقد حدث عند المعاصرين إضافات للضوابط الأسلوبية والموضوعية لم يذكرها المتقدمون ممن كتب في علوم القرآن، وقد كانت بعض هذه الإضافات بحسن نية، ولكنها اتُّخِذَت منفذاً للطعن على القرآن الكريم من قِبَل المستشرقين وأذنابهم من العقلانيين، ومن تلك الإضافات الموضوعية القول بأنّ مِن سمات القرآن المكِّي العناية بالعقيدة، وأنّ القرآن المدني اعتنى بالشريعة"(١).

---

(١) موقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير:(٤٧٩/١).

الدراسات السابقة:

لا توجد دراسة -حسب اطلاعي- اهتمَّت بذكر عناية السور المدنية بموضوع العقيدة خاصة، أو مقارنة عَرض العقيدة في السور المدنية بعَرضها في السور المكية، وقصارى ما هنالك بحوث اهتمت بذكر المواضيع العقدية التي تناولتها بعض السور المدنية كلٌّ منها على حِدَة، ومن تلك البحوث والدراسات ما يلي(١):

ىلجالمضامين العقدية في سورة البقرة، من إعداد الباحثة: أسماء أحمد الملفوح، وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بكلية أصول الدين، في الجامعة الإسلامية بغزّة، وبإشراف الدكتور: نسيم شحدة ياسين، في عام ١٤٣٥هـلح

ىلجالقضايا العقدية في سورة آل عمران، من إعداد الباحثة: لندا كمال محمود السوسي، وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بكلية أصول الدين، في الجامعة الإسلامية بغزّة، وبإشراف الدكتور: نسيم شحدة ياسين، في عام ١٤٣٩هـ.

٣-القضايا العقدية في سورة المائدة، من إعداد الباحثة: هبة محمد موسى أبو مصطفى، وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بكلية أصول الدين، في الجامعة الإسلامية بغزّة، وبإشراف الدكتور: سعد عبدالله عاشور، في عام ١٤٣٣هـ.

---

(١) رتّبت هذه الدراسات حسب ترتيب السورة التي تناولتها الدراسة في المصحف الشريف، وليس حسب تاريخ كتابة الدراسة.

٤-مسائل العقيدة في سورة التوبة، من إعداد الباحثة: شريفة مصلح السنيدي، وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بكلية أصول الدين، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وبإشراف الدكتور: ناصر عبدالرحمن الجديع، في عام ١٤١٥هـ.

٥-قضايا العقيدة في سورة الأحزاب، من إعداد الباحث: ناصر جبر مراحيل غرقود، وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بكلية أصول الدين، في الجامعة الإسلامية بغزّة، وبإشراف الدكتور: جابر زايد عيد السميري، في عام ١٤٣١هـ.

وهنالك بحوث وكتابات تعرّضت لخصائص السور المدنية عموماً؛ ككتاب: خصائص السور والآيات المدنية، ضوابطها ومقاصدها، تأليف الدكتور: عادل محمد صالح أبو العلا.

وتوجد كتب أخرى تناولت موضوع العقيدة الإسلامية في القرآن كله بشكل عام، ومن تلك الكتب:

١-العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم، ومناهج المتكلمين، من تأليف الدكتور: محمد عياش الكبيسي.

٢-عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، تأليف: محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، وقد استعرض المؤلف في هذا الكتاب المنهج القرآني في تقرير العقيدة، ومميزات طريقة القرآن الكريم على طريقة المتكلمين والفلاسفة.

٣-المنهج القرآني في بناء العقيدة، من تأليف الدكتور: قاسمي السعيد، وهو بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة الإسلامية من جامعة باتنة بالجزائر، بإشراف الدكتور: سعيد فكرة، في العام الجامعي ١٤٣٤-١٤٣٥هـ.

ويتضح من عناوين هذه البحوث ومضامينها عدم تعرضها لطريقة السور المدنية على وجه الخصوص في استعراض العقيدة، وهو ما نأمل أن يكشف هذا البحث عن شيءٍ منه.

منهج البحث وإجراءاته :

يعتمد هذا البحث المنهج الاستقرائي، وذلك باستعراض المواضيع العقدية التي تعرّضت لها السور المدنية، ومِن ثَمّ ذكر بعض الآيات التي جاء الحديث فيها عن تلك المواضيع العقدية.

وأمّا الإجراءات المتبعة في هذا البحث فإنّ أهمّها هو كون الحديث مُنْصَبّاً على الآيات التي تناولت موضوع العقيدة في السور المتفق على مدنيتها، وعدم التعرض لما اختلف في مدنيته من السور، أو الآيات التي قيل إنها مدنية وهي واقعة في سور مكية(١).

ومن الإجراءات المتّبعة في هذا البحث أيضاً:

إذا نقلت كلاماً من أحد المصادر بنصِّه، فإني أضعه بين علامتي تنصيص هكذا "..."، ثم أشير في الحاشية إلى مصدر هذا النص باسم الكتاب ومكان ورود النص منه بالجزء والصفحة، أمّا إذا استفدت الفكرة من بعض

(١) لمعرفة السور المتفق على أنها مدنية من غيرها ينظر: خصائص السور والآيات المدنية: ص(٥٩).

المصادر ثم تصرّفت في النص بما أراه مناسباً، فإني أشير في الحاشية إلى مصدر الفكرة والفائدة بقولي (ينظر)، أي أنّ النقل كان للمعنى دون الحرفية.

٢-حرصت على إيراد الآيات القرآنية برسم المصحف، ثم ذكر اسم السورة ورقم الآية بعد الآية مباشرة.

٣-إذا نقلت كلاماً من أحد المصادر ثم حذفت بعضه اختصاراً فإني أضع ثلاث نقاط أثناء النص المنقول هكذا "..."، دلالة على أنّ هناك جزءاً حُذِف اختصاراً، وإذا عزوت لمصدر فإني أذكر رقم الجزء إن وجد، ورقم الصفحة التي بدأ الاقتباس منها حتى ولو امتد ذلك الاقتباس إلى صفحات بعدها.

٤-لم أترجم لأحد من الأعلام خشية إثقال الحواشي بذلك.

٥-حرصت عند الإحالة للمصادر في الحاشية على ذكر اسم الكتاب في الغالب، وإذا كان اسم المصدر طويلا فإني أقتصر على بداية الاسم، بما يفهم منه إرادة ذلك المصدر لا غيره، كما أني أذكر المعلومات التفصيلية للمصدر في فهرس المصادر والمراجع، وليس في موضع ذكره في حواشي البحث، إلا ما خشيت فيه الالتباس بكتاب آخر فإني ذكرت اسم الكتاب متبوعاً بالإشارة إلى اسم مؤلِّفه.

٦-اكتفيت بفهرس للمصادر والمراجع في نهاية البحث، ثم فهرس محتويات البحث؛ حتى لا يثقل البحث بكثرة الفهارس الأخرى.

□

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من تمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

التمهيد، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالعقيدة.

المطلب الثاني: أهمية العقيدة وأثرها على الإنسان.

المطلب الثالث: التعريف بالمكي والمدني وذكر ما يميز كل منهما.

المبحث الأول: عناية السور المدنية بأركان الإيمان، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بالله.

المطلب الثاني: الإيمان بالملائكة.

المطلب الثالث: الإيمان بالكتب.

المطلب الرابع: الإيمان بالرسل.

المطلب الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

المطلب السادس: الإيمان بالقدر.

المبحث الثاني: عناية السور المدنية بمواضيع عقدية أخرى، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: بعض خصوصيات نبينا محمد ﷺ وآله وأصحابه رضي الله عنهم.

المطلب الثاني: التحذير من النفاق والمنافقين.

المطلب الثالث: الحديث عن أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام.

المطلب الرابع: الحكم بما أنزل الله.

المطلب الخامس: مسائل عقدية متنوعة.

المبحث الثالث: معالم تقرير العقيدة في السور المدنية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ربط التشريعات والأحكام بالعقيدة.

المطلب الثاني: مُحاجّة أصحاب العقائد الباطلة وبيان أساليب الجدال معهم.

المطلب الثالث: التعليل والاستدلال للعقيدة.

ثم الخاتمة، وفيها: أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

وفيه ثلاثة مطالب:

غ غ ه ن! غ غلح

عه ه! غ غ !

ترجع كلمة العقيدة إلى الجذر الثلاثي (عَقَدَ)، وتدلّ على معانٍ، منها: الربط، واللزوم، والإحكام، والاستيثاق، والإبرام، واليقين، والجزم، والتوثق، والعهد، والصلابة(١).

ه ! غ يط ه غغ ط ه ط ه ط ه ط ن ! لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ المائدة: ٨٩ ه ن ! يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ المائدة: ١(٢)

"واعتقدْتُ كذا: عَقَدْتُ عليه القلب والضمير، حتى قيل: العقيدة ما يدِينُ الإنسان به، وله عقيدة حسنة سالمة من الشك"(٣).

ه! غ غغ ه!

للعقيدة إطلاقان(٤):

الأول: إطلاقٌ عامٌّ، ويقصد به كل ما يعتقده الإنسان، أي: يعقد قلبه جازماً به، مستوثقاً منه، غير شاكٍّ فيه، سواء أكان ذلك حقاً أم باطلاً.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة:(١/١٣٤)، ومختار الصحاح:(١/١٨٦)، ولسان العرب:(٣/٢٩٦).

(٢) تُنظر: المراجع السابقة.

(٣) المصباح المنير:(٢/٤٢١).

(٤) ينظر: التلازم بين العقيدة والشريعة وآثاره: ص(٢١).

الثاني: إطلاقٌ خاصٌّ، وهو المقيّد بالدين الصحيح، وقد تنوعت التعريفات الاصطلاحية للعقيدة بهذا المعنى، ومن أشهرها:

"الإيمان الجازم بالله تعالى، وما يجب له في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين، وأمور الغيب، وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم، والأمر، والقدر، والشرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم، والاتّباع"[1].

(1) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، د. ناصر العقل: ص(٤).

غ غ !ء غ غ ه غ نرلح

إنّ العقيدة الصحيحة هي الأساس الذي يُبنى عليه الدِّين، ولأجله أُرسِلَت الرسل، وأُنزِلَت الكتب، قال تعالى! ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ النحل: ٣٦ﻁ وإذا اختلّت العقيدة، وخالط الشركُ العبادة، لم تُقبل تلك العبادة، ولم تُنج صاحبها من العذاب، قال سبحانه! ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ الزمر: ٥٦ﻁ ولأجلِ هذا اعتنت النصوص الشرعية بأمر العقيدة، وحثّت على أن تكون الحياة كلّها محكومة بالعقيدة الصحيحة والعمل الخالص لله ﷻ، قال سبحانه! ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الأنعام: ١٦٢لح

وقد جعل الله تعالى العقيدة الصحيحة أساساً ينبغي أن يجتمع عليه الناس، فقال سبحانه! ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ الشورى: ١٣، وعاب على الذين انحرفوا عن العقيدة الصحيحة وتفرقوا شِيَعاً وأحزاباً، وحذّرنا من سلوك سبيلهم ذلك، فقال تعالى! ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢﴾ الروم: ٣١ - ٣٢لح

وإذا حقّق المؤمن العقيدة الصحيحة فإنّ ذلك يبعث على تحقق آثارٍ إيجابية عليه؛ منها –على سبيل المثال لا الحصر–:

١-ضبط السلوك، والتزام المؤمن بمكارم الأخلاق، وذلك أنه إذا صحّت عقيدته في الله، وأنه ﷻ رقيبٌ على أعماله، وأنه قد أوكل للملائكة الكرام كتابة أفعاله وأقواله، وأنّ هناك يوماً آخر، وهو يوم القيامة، يُجازى فيه المحسِن بالحسنى،

والمسيء بما عمل، فإنّ هذا المعتقَد يبعث على الانضباط، واستقامة الحال، وإحسان العمل، وضبط العلاقة مع الآخرين بضوابط الشرع الحنيف.

٢-تحقيق التوازن بين مطالب الروح واحتياجات الجسد، بحيث لا يطغى جانب على جانب، بعكس المذاهب المادية التي أفرطت في إشباع متطلبات الجسد، مع إلغاء الجانب الروحي، وجعلت غاية الإنسان إشباع الشهوات، من طعام وشراب ونكاح، ونحو ذلك[١].

٣-تحرير الإنسان من الخرافات والأوهام، وذلك أنّ العقيدة الصحيحة تبني التفكير السليم للشخص، وتحدد مصادر التلقي الأصلية التي يستقي منها الحقائق، وتجعل عند الإنسان حصانة من تصديق المعتقدات الباطلة، أو الانخداع بالأفكار الضالة، أو التأثّر بالمناهج المنحرفة.

ئلجالنظرة المتوازنة إلى الدنيا والآخرة، فالعقيدة الصحيحة تجعل الإنسان متطلعاً للآخرة، عاملاً لها، ولكنه في ذات الوقت يكون آخذاً نصيبه من الدنيا، متقناً لعمله فيها، من غير تعلّقٍ تامٍّ بها، كما قال تعالى! وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا القصص: ٧٧، ولذا فإنّ أصحاب العقيدة الصحيحة يسألون الله دائماً خيرَي الدنيا والآخرة، وهذا الصنف من البشر هم الذين أثنى الله عليهم بقوله سبحانه! وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢ البقرة: ٢٠١ – ٢٠٢لح

(١) ينظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، لمحمد ملكاوي: ص٣٨.

ومن هنا يؤخذ أنّ للعقيدة الصحيحة الأثر البالغ في استقامة سلوك الفرد وصلاح حاله، مما يؤدِّي إلى صلاح المجتمع بأكمله، فصلاح المجتمعات مِن صلاح أفرادها، وأمنها ورخاؤها نتيجة حتمية لإيمانهم بالله وعدم الإشراك به، كما قال جل وعلا! ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ الأنعام: ٨٢لح

غ غ إغ ﮪ ط ﮪﻘ لح

يعتبر مبحث "المكي والمدني من المباحث المهمة التي يحتاج إليه المفسِّر لكتاب الله، ومن نصب نفسه للاجتهاد والفتيا والقضاء؛ كي يمكنهم التوصل إلى الحق والصواب"(١).

وقد كتب العلماء مباحث متنوعة حول المكي والمدني؛ كأهميته، وفوائد معرفته، وطرق معرفة المكي من المدني، وعدّدوا السور المكية، والسور المدنية، والآيات التي قيل إنها مكية في سور مدنية أو العكس.

وسأقتصر فيما يلي على ذكر أصل تسمية المكي والمدني، والاصطلاحات التي ذكرها العلماء لهما، وما يميز السور المكية من المدنية، وخصائص كل منهما، وذلك كالتالي:

---

(١) المدخل لدراسة القرآن: ص(٢١٩).

عه هإء غ !

المكّي: "بفتح الميم وتشديد الكاف، هذه النسبة إلى أشرف بقعة على وجه الأرض، منزل الأنبياء، ومهبط الوحي"(١).

والمدني: نسبة غلبت على مدينة الرسول ﷺ، فإنّ "أكثر ما ينسب إليها يقال «المدني»"(٢).

هإغ هـ غ ف!

ذكر العلماء ثلاثة اصطلاحات للمكي والمدني، وهذه الاصطلاحات مبنية على اعتبارات مختلفة، فبعضهم حدّدها باعتبار الزمان، وآخرون باعتبار المكان، وفريق ثالث باعتبار المخاطَب، وفيما يلي تفصيل ذلك:

الاصطلاح الأوّل: أنّ المكّي ما نزل من القرآن قبل هجرة الرسول ﷺ للمدينة، حتى ولو نزل بغير مكة، والمدني ما نزل من القرآن بعد الهجرة، وإن نزل بمكة، وهذا الاصطلاح روعي فيه الزمان.

الاصطلاح الثاني: أنّ المكّي ما نزل من القرآن بمكة، ولو بعد هجرة الرسول ﷺ للمدينة، والمدني ما نزل من القرآن في المدينة، وهذا الاصطلاح روعي فيه المكان.

الاصطلاح الثالث: أنّ المكّي ما كان خطاباً لأهل مكة، والمدني ما كان خطاباً لأهل المدينة، وهذا الاصطلاح باعتبار المخاطَب.

---

(١) الأنساب، للسمعاني:(٤١٧/١٢).

(٢) المرجع السابق:(١٥٢/١٢).

والذي يترجّح من هذه الاصطلاحات هو الأوّل؛ لأنّه ضابطٌ ومطّردٌ، وفيه قضاء على معظم الخلافات التي أثيرت حول تحديد المكي والمدني، وقد درج على هذا التعريف كثير من الباحثين في علوم القرآن قديماً وحديثاً[1].

ه! غ قغ غ قغ !

ذكر العلماء مميزات للسور المكية وأخرى للسور المدنية، ومما ذُكِر من ميزات السور المكية ما يلي:

١-كل سورة فيها (كَلّا) فهي مكية[2].

٢-كل سورة فيها (يا أيها الناس)، وليس فيها (يا أيها الذين آمنوا)، فهي مكية.

ولكنّ هذا ليس مطّرداً، فإنّ سورة الحج -وهي مكية عند بعض أهل العلم- ورد فيها الخطاب بـــ(يا أيها الذين آمنوا)، وكذلك فإنّ بعض السور المدنية جاء الخطاب فيها بــــ(يا أيها الناس)، كسورة البقرة، وسورة النساء[3].

٣-كل سورة فيها سجدة فهي مكية.

ويستثنى من ذلك أيضاً سورة الحج عند من يقول بمدنيتها[4].

ه غ ظنغ غ !

---

(١) ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم:(٢٢٠-٢٢١)، والمكي والمدني في القرآن الكريم:(٤٢/١-٥٦).

(٢) ينظر هذا الضابط في: جمال القراء:(٢٤٧/١)، والبرهان في علوم القرآن:(١٨٨/١)، والإتقان في علوم القرآن:(٥٤/١).

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن:(١٩٠/١).

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن:(٥٤/١).

١-قصر الآيات والسور.

٢-كثرة أسلوب التأكيد ووسائل تقرير المعاني؛ كالقسَم، وضرب الأمثال، ونحو ذلك.

هـ غ ظنغ غ !

١-تقرير أسس العقيدة، ودعوة الناس إلى التوحيد، والإقرار بنبوّة الرسول ﷺ، وإثبات البعث.

٢-الدعوة إلى أصول الأخلاق الحسنة.

٣-ذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم، وما كان من أحوال الأمم الغابرة؛ تثبيتاً لفؤاد النبي ﷺ، ومواساة للمسلمين الذين كانوا مستضعفين بمكة.

ومما ذُكِر من ميزات السور المدنية ما يلي:

١-كل سورة فيها حَدٌّ أو فريضة فهي مدنية.

٢-كل سورة فيها أمرٌ بالجهاد وبيانٌ لأحكامه فهي مدنية.

٣-كل سورة فيها ذِكْرُ المنافقين فهي مدنية ما عدا سورة العنكبوت(١).

هـ غ ظنغ غ !

١-طول أكثر السور والآيات.

٢-استخدام أسلوب الحجج في مجادلة أهل الكتاب، وأسلوب التهكم من المنافقين لكشف طرق مكرهم وخداعهم.

هـ غ ظنغ غ !

---

(١) تنظر هذه الضوابط في: جمال القراء:(١/٢٤٧)، والبرهان في علوم القرآن:(١/١٨٨)، والإتقان في علوم القرآن:(١/٥٣).

١-ذكر تفاصيل الأحكام العملية في العبادات، والمعاملات.

٢-بيان الأحكام الخاصة بالجهاد وما يتعلّق به(١).

وهذه الخصائص التي ذُكِرت للمكي والمدني من القرآن الكريم هي خصائص أغلبية ذكرها بعض العلماء عندما أمعنوا النظر في أساليب وموضوعات القرآن الكريم؛ ولكنّ بعضها يحتاج إلى إعادة نظر، كعدم الإشارة إلى أنّ موضوع السور المدنية الأهم هو العقيدة، كما هو الحال في السور المكية، وهذا ما سيتم تأكيده في هذا البحث إن شاء الله، ودعمه بذكر نماذج من السور المدنية التي اعتنت آياتها بمجال العقيدة أيّما اعتناء!.

فالسور المدنية حتى وإن ورد فيها تفصيلٌ لِأحكام العبادات والمعاملات ونحوهما، إلا أنّ موضوع العناية بالعقيدة الصحيحة هو الموضوع الأبرز فيها، وكل الموضوعات الأخرى إنما تأتي لتقرير تعظيم الله تعالى واعتقاد ما يجب اعتقاده، فنجد في سورة الأنفال مثلاً –وهي من السور المدنية– أنّ الصحابة ﷺ لَمّا سالوا النبي ﷺ عن كيفية قسمة الغنائم، أنزل اللهُ قوله تعالى! يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ الأنفال: ط فلم يأتهم الجواب مباشرة بتوضيح أحكام قسمة الغنائم، وإنما جاءت الآيات بترسيخ الإيمان في نفوسهم؛ حيث "ذُكِّروا بما ينبغي لهم أن يلتزموا، فقال تعالى: إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ... الأنفال: ٢، إلى قوله! زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا الأنفال: ط ثم نُبِّهوا على أنّ أعراض الدنيا مِن نَفْلٍ أو غيره، لا ينبغي للمؤمن أن يعتمد عليه اعتماداً يدخل عليه ضرباً مِن الشرك، والتفاتاً إلى غير الله سبحانه،

(١) ينظر في كل ما سبق ذكره: المكي والمدني في القرآن الكريم:(١٦٨-١٧٤).

بقوله! وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الأنفال: ٢ ثم ذُكِّروا بما وُصِف به المتقون في الصلاة والإنفاق، ثم قال! أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا الأنفال: ٤ تنبيها على أنّ مَنْ قَصُر عن هذه الأحوال، أو لم يأت بها على كمالها، لم يخرج عن الإيمان، ولكن نزل عن درجة الكمال بحسب تقصيره، وكأنّ في هذا إشعاراً بعذرهم في كلامهم في الأنفال، وأنهم قد كانوا في مطلبهم على حالة من الصواب، وشِربٍ من التمسك والاتّباع، لكنّ أعلى الدرجات ما بُيِّن لهم ومُنِحوه، وأنه الكمال والفوز"(١)، ثم تمضي آيات السورة الكريمة في تقرير وجوب التوكّل على الله، واعتقاد أنّ النصر من عنده وحده، ووجوب طاعته، والاستجابة له، وتقواه، والتعلّق به، ثم بعد أربعين آية مِن ذكر السؤال عن أحكام الغنائم، وبعد أن تمّ المقصود من تقرير الإيمان، يأتي الجواب ببيان أحكام قسمة الغنائم، فيقول الله تعالى! وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ الأنفال: ٤١ وهكذا حتى في هذه الآية بعدما بُيّنت أحكام قسمة الغنائم، يُذكّرون بأنّ مقتضى إيمانهم بالله تعالى التسليم لحكمه، فيقول سبحانه! إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ الأنفال: ٤١ فأيّ عناية أَوْلَتها السور المدنية لتقرير العقيدة أوضح من هذه العناية!.

فلا شك -بعد هذا- أنّ الموضوع الرئيس في القرآن الكريم كله هو موضوع العقيدة، لا فرق بين مكِّيِّه ومدنيِّه، والذي يختلف إنما هو طريقة عرض العقيدة بين المكي والمدني، فنجد في السور المكية أنّ موضوع العقيدة

---

(١) البرهان في تناسب سور القرآن: ص(١٠٣).

ربما استغرق الحديث عنه كل آيات السورة، بينما نجد الحديث عن العقيدة في السور المدنية مرتبطاً بالمطالبة بالعمل بالأحكام الشرعية، والتوجيهات الربّانية.

إنّ حديث العقيدة ليس درساً يُعطى ثم يُمضى عنه إلى غيره، بل إنّ الناظر في سور القرآن الكريم لا يكاد يفرِّق بين السور المكية والمدنية في حديثها عن العقيدة، وما ذاك إلا لأهمية أمر العقيدة، وبسبب تلك الأهميّة استمر التأكيد عليها حتى آخر آيات القرآن نزولاً، وهي قوله تعالى! ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ البقرة: ٢٨١[1]

والمواضيع العقدية التي استعرضتها السور المدنية يمكن تصنيفها إلى نوعين، النوع الأول هو ما يتعلّق بالتأكيد على أركان الإيمان، والنوع الثاني هو ما جاء فيه تقرير العقيدة الصحيحة في مواضيع متنوعة، وفيما يلي تفصيل ذلك.

---

(١) ينظر: دراسات قرآنية: ص(٢١-٢٣).

المبحث الأول: عناية السور المدنية بأركان الإيمان:

تقدّم أنّ السور المدنية وإن كانت قد تناولت بعض التشريعات في العبادات والمعاملات بشيءٍ من التفصيل، إلا أنها لم تُغفِل الحديث عن أمور العقيدة، بل كان جُلُّ المواضيع التي طال الحديث عنها في السور المدنية مؤكِّداً على ما جاء في السور المكية من تقرير العقيدة الصحيحة ونفي ما يضادّها، وبالأخص ما يتعلق من ذلك بأركان الإيمان، ويظهر ذلك من خلال المطالب الآتية:

غ غ ه ن!غ ن لح

"الإيمانُ بالله ﷻ هو التصديق الجازم بوجود الله وربوبيته -جل وعلا- واتصافه بكل صفات الكمال، ونعوت الجلال، واستحقاقه وحده العبادة، واطمئنان القلب بذلك اطمئناناً تُرى آثاره في سلوك الإنسان، والتزامه بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، وهو أساس العقيدة الإسلامية ولُبُّها؛ فهو الأصل، وكل أركان العقيدة مضافة إليه، وتابعة له"(١).

وآيات القرآن الكريم زاخرة بتقرير الإيمان بوجود الله تعالى، وتعظيمه، وبيان قدرته على كل شيء، وعلمه بكل شيء، وغير ذلك من مقتضيات الربوبية، كما تكرر في القرآن الكريم ذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، والتأكيد على وجوب صرف جميع أنواع العبادة له، والتحذير من الإشراك به، وبيان سوء عاقبة الشرك ومصير المشركين.

ولكثرة حديث القرآن عن الإيمان بالله تعالى فإنّ تناول هذا الموضوع واستعراض جوانبه سيطيل أمد البحث، ولكن سنقتصر على ذكر نماذج من

---

(١) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة: ص(١١٤).

ذلك، فإذا نظرنا إلى مدى عرض توحيد الألوهية في القرآن فإنّا سنجد أنّ قضية وجوب الإيمان بالله تعالى وإفراده بالعبادة هي قضية القرآن كلّه، مكّيّه ومدنيّه، ولذا نجد الآيات الكريمة تؤكّد على هذا الأصل الأصيل، ففي السور المكّية يظهر هذا الأمر بجلاء، حتى عُدّ تقرير التوحيد من الخصائص الموضوعية للسور المكية كما سبق(١)، ولكن هذا الأمر في السور المدنية يحتاج لشيءٍ من التأمّل؛ ليخرج الناظر فيها بالنتيجة ذاتها، ويوقن بأنّ موضوع السور المدنية الأول هو تقرير التوحيد كذلك!.

ولو استعرض القارئ السور المدنية -بل السور الطوال منها فحسب- لظهر له أنّ تقرير توحيد الخالق جل وعلا وتعظيمه هو موضوعها الأهم، وأنّ ما جاء فيها من موضوعات أخرى فإنها مرتبطةٌ حتماً بتقرير التوحيد، وإخلاص العبودية لله تعالى، ونفي استحقاق غيره للعبادة.

ففي سورة البقرة نجد الآيات الكثيرة التي تثبت وحدانية الله ﷻ، واستحقاقه للعبادة وحده؛ لأنه هو الخالق الوهّاب، المتفضّل على خلقه بصنوف النعم، كما نجد الآيات الكثيرة أيضاً التي تدعو إلى توحيد الله تعالى، وتنهى عن الشرك به جلّ وعلا.

فنجد أوّل نداء للناس في سورة البقرة وأوّل أمرٍ لهم فيها هو الأمر بالتوحيد، والنهي عن ضدِّه، وهو ما جاء في قوله تعالى! ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ البقرة: ٢١ - ٢٢

(١) في ذِكْرِ خصائص القرآن المكي الموضوعية: ص(١١).

ففي الآية الأولى من هاتين الآيتين ينادي الله تعالى عباده آمراً لهم بعبادته، "ومعنى الآية: يا أيها الناس، أخلصوا العبادة لربكم الذي خلقكم، وخلق الذين كانوا من قبلكم"(١)، ثم يأتي الاستدلال لوحدانية الله تعالى واستحقاقه إخلاص العبادة بأنه هو الخالق للبشر، الأولين منهم والآخرين، ثم تضيف الآية التالية مزيداً من ذكر أفعال الربِّ تبارك وتعالى، فتذكِّر بأنه الممهِّد للأرض، والباني للسماء، والمنزل لماء المطر، والْمُخرِج لأرزاق الأرض، وهي "تدل على أنّ الطريق إلى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة، النظرُ في صُنْعِه، والاستدلال بأفعاله"(٢).

ثم بعد هاتين الآيتين بآيات ليست بالكثيرة، نجد الإنكار على من كفر بالله، والاستدلال بما تقرّر من أفعال الله العظيمة على استحقاقه للعبادة ﷻ؛ كالإحياء، والإماتة، والبعث، والنشور، والخلق، والاستواء، والعلم الشامل لكل شيء، وذلك في قوله تعالى! فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ البقرة: ٢٨ - ٢٩ﱠ

ويتكرر تقرير آيات السورة لوحدانية الله تعالى، فتَعْرِض ما ادّعاه المشركون من نسبة الولد لله جل وعلا، وتردّ عليهم، مُنزِّهةً لله عن قولهم، مبينةً لسعة ملكه، وخضوع المخلوقات له، وشمول إحاطته، ونفوذ قدَرِه، حيث يقول

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية: (١/١٨٢).

(٢) أنوار التنزيل، للبيضاوي: (١/٥٥).

سبحانه! ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ البقرة: ١١٦ - ١١٧.

ويتنوع الأسلوب الذي يؤكِّد على التوحيد ويحذِّر من الشرك في سورة البقرة، ويُنبّه لأهمية هذا الأمر في استعراض قصص أئمة الموحِّدين، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فتذكر عناية نبي الله إبراهيم عليه السلام بتوحيد الله تعالى والتحذير من الشرك به، ثم تذكر قصة يعقوب عليه السلام، وكيف كان حرصه على التوحيد والتذكير به حتى آخر لحظات حياته، حيث يقول سبحانه! ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾ البقرة: ١٣٣.

ونقرأ في الآيات المتتابعة في سورة البقرة كذلك تأكيداً على وحدانية الله تعالى، وتفرده بالألوهية، ونجد حشداً من الأدلّة التي سيقت للاستدلال لهذا الأمر العظيم، ومجملها يذكّر باختصاص الله تعالى بتصريف شؤون الكون، وتسخيره ذلك لمصالح البشر.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى! ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ البقرة: ١٦٣ - ١٦٤.

ففي هاتين الآيتين "يخبر تعالى عن تفرّده بالإلهية، وأنه لا شريك له، ولا عديل له، بل هو الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لا إله إلا هو، وأنه الرحمن الرحيم...، ثم ذكَر الدليل على تفرُّدِه بالإلهية بتفرُّدِه بخلق السموات

والأرض وما فيهما، وما بين ذلك، ممّا ذرأ وبرأ من المخلوقات الدالّة على وحدانيته"(١).

وفي هذه السورة المباركة تأتي أعظم آية في كتاب الله تعالى، وهي آية الكرسي، لتؤكّد على توحيد الله وتعظيمه، وتنزيهه، وتقرير بعض صفاته العليا، وذكر شيء من أسمائه الحسنى(٢)، حيث يقول جل وعلا! ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ البقرة: ٢٥٥لح

ثم نرى السورة الكريمة تمضي في تقرير عقيدة التوحيد في آيات كثيرة، حتى نجد ذلك في الآيات الأخيرة منها، حيث يقول تعالى! ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ البقرة: ٢٨٥ط فتبيّن أنّ العناية بالتوحيد والثناء على أهله استوعب آيات سورة البقرة، فإنه لَمّا "بَدَأَ السُّورة بمدح المتقين، بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ البقرة: ٣ط ظ غ تغ عن غي ﷽ في أوَّل السُّورة هم أُمَّةُ محمَّدٍ ﷺ، فقال! وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ البقرة: ٢٨٥ط وهذا هو المراد بقوله في أَوَّل السُّورة! فَقَدْ هُدِىَ ط ن ! غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ط ه غ غ ق عيه نغ تغ! مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ البقرة: بم(٣)لح

---

(١) تفسير القرآن العظيم: (١/٤٧٤).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: (١/٣٤٠).

(٣) اللباب في علوم الكتاب: (٤/٥٢٢).

وسورة أخرى من السور المدنية الطويلة، وهي سورة آل عمران، يكون موضوعها ومقصودها الأعظم تقرير
(لا إله إلا الله)، "إنها تحدِّث المؤمن عن طبيعة المعركة ومجالاتها، وعن أعداء (لا إله إلا الله) ودوافعهم لهذه العداوة، وعن الوسائل التي يتخذونها ضده وضد دعوته، وعن واجبه هو إزاء ذلك كله، حديثاً مستفيضاً يستغرق مائتي آية كاملة، هي كل آيات السورة، ويجول به جولاتٍ واسعةٍ ما بين الدنيا والآخرة، ما بين المتاع الْمُقعِد عن الجهاد في الدنيا، والمتاع المكافئ على الجهاد في الآخرة، ما بين اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين، وهم الأعداء الأربعة الذين يكرهون الإسلام ويحاربونه، ما بين معركة الجدل ومعركة السلاح، ما بين النصر والهزيمة، ما بين القضاء والقدر ومسؤولية البشر، ما بين الفرار من المعركة والاستشهاد في سبيل الله، ما بين المنفقين في سبيل الله والباخلين بما آتاهم الله من فضله، ما بين قصص الماضي وقصص الحاضر، وما بين الأرض والسماء"(١).

ويتّضِح مقصود سورة آل عمران من أوائل آياتها، حيث يقول سبحانه! الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ آل عمران: ١ – ٢، فقضية توحيد الألوهية هو المقصود الأعظم لهذه السورة، ولذا نجد أنّ الله تعالى شهِد به، واستشهد عليه خيرة خلقه، قال سبحانه! شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ آل عمران: ٨ا ح

(١) دراسات قرآنية: ص(٣٢٢).

ويتكرر في سورة آل عمران الاستدلال بالربوبية على الألوهية، كما جاء من قبل في سورة البقرة، فيقول تعالى! هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ آل عمران: ٦.

ونجد في سورة النساء –وهي مدنية أيضاً- الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك في مواضع، منها قوله تعالى! وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا النساء: ٣٦ط كما نجد في موضعين من هذه السورة تقريرَ أمرٍ في غاية الأهمية، وهو أنّ الله لا يغفر لمن مات وهو مشرك بالله تعالى، حيث يقول سبحانه! إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ النساء: ٤٨، ويقول! إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ النساء: ١١٦ الح

وفي سورة المائدة –وهي مدنية كذلك- يقول تعالى! إِنَّهُۥ مَن فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ المائدة: ٧٢.

وفي القرآن المدني آيات قوية قارعة، تنخلع لها القلوب، فيها قوّة التهديد للكفار وتخويفهم من عذاب الله تعالى، كما كان في الآيات المكية[١]، ومن ذلك -مثلاً- قوله تعالى! إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ النساء: ٥٦ط ه ! إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٧﴾ المائدة: ٣٦ - ٣٧ط ه

غ غ غ ! إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ النساء: ٤٥ ط

---

(١) ينظر: خصائص السور والآيات المدنية: ص(٢٤٤).

ﻫ ! وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ التوبة: ٦٨

ونجد في السور المدنية التحذير من صورٍ متعددة من صور الشرك؛ ومن ذلك: التحذير من شرك الطاعة، كما في قوله تعالى! ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ التوبة: ٣١ ويحذِّر الله من سلوك سبيل الكافرين في طاعتهم لشركائهم مما سبّب لهم دخول النار والخلود الأبدي فيها، حيث قال تعالى: يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ الأحزاب: ٦٦ – ٦٧، ومن ذلك أيضاً التحذير من الغلو في الأنبياء وغيرهم حتى يصل الغالي فيهم لأن يصرف لهم شيئاً من العبادة أو ينسب لهم شيئاً من خصائص الألوهية؛ كما قال تعالى! قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ آل عمران: ٦٤

ومن الأساليب التي جاءت في السور المدنية لتقرير العقيدة الصحيحة أسلوب الرد على أصحاب العقائد الباطلة، ومناقشتهم في ضلالاتهم، فنرى في القرآن المدني أنه يردُّ على جميع مُخالِفيه دون الاقتصار على بعضهم، فنجده يرد في دعوته للتوحيد على عُبّاد الأصنام، وعُبّاد المسيح، وعُبّاد الملائكة، وعبَدة النجوم، وعلى من ينسبون الولد إلى الله، وعلى من يؤلِّهون البشر، ومن ذلك قوله تعالى! مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ آل عمران: ٦٧ قال الرازي! "وَلَمَّا كان الكلام مع اليهود والنصارى، كان الاستدراك بعد ذِكْرِ الِانْتِفاءِ عن شريعتهما، ثُمّ نفى على سبيل التكميل لِلتَّبَرِّي مِن سائر

الأديان كونه من المشركين، وهم: عبَدة الأصنام، كالعرب الذين كانوا يدّعون أنهم على دِين إبراهيم، وكالمجوس عبَدة النار، وكالصابئة عبَدة الكواكب، ولم يَنُصَّ على تفصيلهم؛ لأن الإشراك يجمعهم"(١).

وردّ الله تعالى على من زعم ألوهية المسيح في آيات كثيرة من السور المدنية؛ كقوله سبحانه! لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ النساء: ٧٢ط ه وَعَجَلَّ! لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ المائدة: ٧٢ط ه ! ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ المائدة: ١١٦ - ١١٧طع

ﻕ غ غلح

كما نجد السور المدنية كثيراً ما تُذكر فيها أسماء الله وصفاته الموجبة لتعظيمه جلّ وعلا، ويأتي في بعض سورها حشدٌ من الأسماء والصفات التي تورث في النفس مهابة الخالق عَجَلَّ ومحبّته، ويكفي تمثيلاً لذلك ما جاء في قوله تعالى! هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ الحشر: ٢٢ - ٢٤لح

---

(١) مفاتيح الغيب: (٢٠١/٣).

فهذه الآيات قد احتوت "مجموعة رائعة من أسماء الله الحسنى لم تجتمع في مجموعة قرآنية أخرى، مع التنبيه على أنها وردت متفرقة في آيات متعددة، وأسلوبها نافذ من شأنه أن يثير في النفس الطيبة الشعور بهيبة الله وعظمته وقوّة القرآن الروحية"(١).

وهكذا نجد أنّ موضوع الإيمان بالله وتوحيده يستغرق كل سور القرآن، لا سيما السور المدنية التي جُعِل فيها موضوع التوحيد محوراً لكل سورة، وهدفاً رئيساً تحققه مجمل آياتها.

غ غ !غ ن لح

"الملائكة عالَمٌ غير عالَم الإنس وعالَم الجن، وهو عالَم كريم، كُلُّه طُهرٌ وصفاء ونقاء، وهم كرام أتقياء، يعبدون الله حق العبادة، ويقومون بتنفيذ ما يأمرهم به، ولا يعصون الله أبداً"(٢).

والإيمان بالملائكة يقتضي أموراً:

أحدها: التصديق بوجودهم.

الثاني: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله وخلقه، مأمورون مكلفون، لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى، ولا يُدعون آلهةً كما دعتهم الأوائل.

---

(١) التفسير الحديث: (٣٢٧/٧).

(٢) عالَم الملائكة الأبرار: ص(٧).

الثالث: الاعتراف بأنّ منهم رسلاً يرسلهم الله إلى من يشاء من البشر، ويتبع ذلك الاعتراف بأنّ منهم حملة العرش، ومنهم الصافّون، ومنهم خزنة الجنّة، ومنهم خزنة النار، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السحاب، فقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره(١).

وقد تقرّر في السور المدنية -كما قُرِّر في السور المكية مِن قَبْل- وجوب الإيمان بالملائكة، وذُكِر فيها طرفٌ من خصائصهم وأعمالهم، وأسماء بعضهم، ونحو ذلك مما يتعلق بهم.

فبيّنت سورة البقرة أنّ الملائكة الكرام يسبِّحون بحمد الله ويقدسونه، لكنهم مع علو منزلتهم، ورفعة مكانتهم، لايعلمون الغيب، بل إنّ كل ما يعلمونه إنما هو مِن علم الله الذي علّمهم، قال سبحانه! ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ البقرة: ٣٠ – ٣٣

ففي هذه الآيات بيّن الله تعالى لملائكته الكرام "أنهم وغيرهم من العباد لا يعلمون من العلم إلا ما علَّمهم إيّاه ربهم، وأنّه يخص بما شاء من العلم من شاء من الخلق، ويمنعه منهم من شاء، كما علم آدم أسماء ما عرض على الملائكة، ومنعهم علمها إلا بعد تعليمه إياهم"(٢).

---

(١) ينظر: الحبائك في أخبار الملائك: ص(١٠).

(٢) جامع البيان:(٤٩٦/١).

كما تقرّر في سورة البقرة أنّ معاداة الملائكة كُفْرٌ؛ حيث قال سبحانه! قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ البقرة: ٩٧ - ٩٨ فالعداوة لجبريل الموصوف بذلك، كُفْرٌ بالله وآياته، وعداوةٌ لله ولرسله وملائكته، فإنّ عداوتهم لجبريل عليه السلام لا لِذاتِهِ؛ بل لما يَنزِل به مِن عند الله مِن الحق على رسل الله"(١).

وممّا يجب الإيمان به تجاه الملائكة: الإيمان بوجودهم عموماً، والإيمان خاصة بمن ذكر الله اسمه منهم؛ كجبريل وميكال وغيرهما ممن ذُكِرت أسماؤُهم.

وجاءت آيات السور المدنية مؤكِّدة على أنّ الإيمان بالملائكة مِن جملة ما يجب الإيمان به، كما في قوله تعالى! وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ البقرة: ١٧٧ ! ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ البقرة: ٢٨٥ كما بُيِّن أنّ الكفر بالملائكة وبقية أركان الإيمان ضلالٌ بعيد، كما في قوله تعالى! وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ النساء: ١٣٦

وممّا ورد في السور المدنية مما يجب تجاه الملائكة الكرام: وجوب إنزالهم منازلهم وإثبات أنهم عبادٌ لله، وأنهم ليسوا بنات الله كما زعم المشركون، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، قال سبحانه! وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى

(١) تيسير الكريم الرحمن: ص(٦٠).

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ البقرة: ١١٦ط ه ز ! وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨٠﴾ آل عمران: ٨٠.

كما قُرِّر فيها أيضاً أنّ مِن وظائف الملائكة وأعمالهم: تأييد الرسل؛ كما في قوله تعالى! وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ البقرة: ٨٧، ٥٣ط وأنهم يشهدون بما شهد به الله؛ كما قال تعالى! شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ آل عمران: ٨ط ه ز جَلَّالَهُ! لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَ النساء: ٦٦ط وأنهم يقومون بما يأمرهم به الله من أعمال، ومِن ذلك نداء وتبشير مَن يأمرهم الله بندائه وتبشيره؛ كما حصل لزكريا عليه السلام، فقد أخبر الله تعالى عنه بقوله! فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ آل عمران: ٣٩ط وكما حصل لمريم؛ حيث أخبر الله تعالى عن خطاب الملائكة لها في قوله تعالى! إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ آل عمران: ٤٥ح

ومن أعمال الملائكة التي ذُكِرت في السور المدنية أيضاً: أنْ يُمِدُّ الله بهم المؤمنين لتثبيتهم ونُصرتهم ضد أعدائهم؛ كما قال تعالى! إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ آل عمران: ١٢٤ – ١٢٥، وقال سبحانه! إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾ الأنفال: ٩ط وقال تعالى! إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ الأنفال: ٢ط وقال عز وجل! لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى

ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا التوبة: ٢٥ – ٢٦، وقوله تعالى! يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا الأحزاب: ٩.

وإذا كان هذا حالهم مع المؤمنين فإنّ لهم مع الكافرين أحوالاً ذُكِرت في السور المدنية أيضا؛ منها: أنهم يلعنون من يلعنه الله؛ كما قال تعالى! إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ البقرة: ١٦١ط ه ز ! يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ آل عمران: ٨٦ – ٨٧ط ه !ع ن ه هق ق غ غل عقهظ ظ ز ! وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ الأنفال: ٥٠لح

هذا وغيره من أعمال الملائكة التي ذكرت في السور المدنية يبيّن لنا مدى عناية هذه السور وبيانها لما يجب اعتقاده في الملائكة الكرام، وذلك ضمن استيعابها للمواضيع العقدية المبثوثة في آياتها الكريمة.

غ غ !غ ن لح

حين نقرأ في السور المدنية نجد في أوائل آيات سورة البقرة أنّ الإيمان بالكتب مِن أخصّ صفات المؤمنين؛ فمِن أعظم صفات المؤمنين وأولاها بالذِّكْر أنهم يؤمنون بما أُنزِل إلى النبي ﷺ، وهو القرآن الكريم، ويؤمنون بما أُنزِل على مَن قبله مِن الأنبياء جملة وتفصيلا، وقد أثنى الله عليهم بقوله: وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ آل عمران: ١١٩ط ه ! ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ البقرة: ٢٨٥لح

وتأكيداً لهذا الركن العظيم مِن أركان الإيمان فقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالإيمان بكل كتبه التي أنزلها؛ فقال ﷻ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ البقرة: ١٣٦ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ﴾ النساء: ١٣٦

ونجد في السور المدنية الإنكار على مَن آمن ببعض ما في الكتب السماوية وكفر بما لا يوافق هواه منها؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ﴾ البقرة: ٨٥ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٍ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝١٥١﴾ النساء: ١٥٠ – ١٥١ "فإنّ اليهود آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والإنجيل، والنصارى آمنوا بعيسى والإنجيل وكفروا بمحمد والقرآن"(١)؛ فقُرِّر في هذه الآيات أنّ الإيمان بالرسل وما أُنزِل إليهم جميعاً هو الواجب، ولو كفر الإنسان بشيءٍ مما أُنزِل إليهم فقد كفر بهم جميعاً(٢).

كما يرى الناظر في السور المدنية الوعيد الشديد لمن حرّف الكتب السماوية أو كتم شيئاً يعلمه منها؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيۡلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ۝٧٩﴾ البقرة: ٧٩ وبيّن أنّ مِن أسباب لعنة اليهود وغضبه عليهم أنهم كما قال الله عنهم: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ النساء: ٤٦ وفي موضعٍ آخر قال سبحانه: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ المائدة: ٤١ وقال ﷻ: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ

(١) مفاتيح الغيب:(٢٥٥/١١).

(٢) ينظر: روح المعاني:(١٧٩/٣).

ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ البقرة: ٧٩، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ البقرة: ١٥٩، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ البقرة: ١٧٤.

ويُذكر في السور المدنية ما يجب اعتقاده في الكتب السماوية، وأنها جاءت لجمع الناس على كلمة الحق ونبذ الفرقة، وفيها الهدى والنور، ويُبيّن بُعْد وخسارة مَن كفر بشيء منها؛ كما في قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ البقرة: ١٢١، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ البقرة: ١٧٦، ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ البقرة: ٢١٣، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ المائدة: ٤٤، ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ المائدة: ٤٦.

ونجد في السور المدنية أيضاً أَمْرَ أهل الكتاب خاصة بأن يؤمنوا بما أُنزِل على نبينا محمد ﷺ، وهو القرآن، فيقول الله تعالى: ﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ﴾ البقرة: ٤١، وعاب عليهم عدم إيمانهم بالقرآن الكريم؛ فقال سبحانه: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ البقرة: ٨٩، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ البقرة: ٩١

ﻫ ﻧ ﷻ! وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ آل عمران: ٧٢لح

كما نجد البيان الواضح والحكم الصريح على أهل الكتاب بأنهم إذا لم يؤمنوا بما أُنزِل على نبينا محمد ﷺ فهم كفرةٌ، لا يقبل الله منهم عملا؛ كما قال تعالى! قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا المائدة: ٦٨ط وأنّ مَن لم يتحاكم منهم إلى القرآن ويرضَ بحكمه، فهو مُعْرِضٌ مُستحِقٌّ للعقوبة الإلهية في الآخرة؛ كما قال تعالى! أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾ آل عمران: ٢٣ - ٢٥لح

كما نجد الثناء على مَن أسلم مِن أهل الكتاب وآمَن بالقرآن؛ كما في قول الله سبحانه: وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ آل عمران: ١٩٩.

ولمزيدٍ من تقرير وجوب الإيمان بالقرآن الكريم نجد السور المدنية تؤكِّد على أنّ نزول القرآن إنما هو مِن عند الله تعالى، وانّ ذلك لا شك فيه؛ كما قال الله تعالى في أول سورة البقرة! وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم البقرة: ١ – ٢، وبيّن في هذه الآية أنّ هذا القرآن إنما هو كتاب هداية، وأُكِّد على هذا المعنى أيضاً في مثل قوله تعال ﻪ! شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ البقرة: ٨٥ط وقوله سبحانه! نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ آل عمران: ٣ – ٤.

وتحدّى الله بالقرآن ليبعث في النفوس مزيد اليقين بإعجازه وأنه حق منزلٌ مِن عند الله؛ فقال سبحانه! بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ البقرة: ٣لح

وقُرِّر في السور المدنية أيضاً هيمنة القرآن الكريم على الكتب السابقة في قوله تعالى: وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ المائدة: ٨ﻄ أي أنّ القرآن شاهدٌ وحاكمٌ وأمينٌ على الكتب السابقة؛ وإنما كان القرآن مهيمناً على الكتب التي قبله لأنه آخر الكتب، وقد تكفّل الله بحفظه، فلا يُغيّر ولا يُبدّل(١)، ولهذا فقد بُيّن في السور المدنية أيضاً عدم صحة إيمان من يتحاكم إلى غير ما أنزل الله على رسوله ﷺ؛ كما في قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ النساء: ٦٠، هـ ! وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ النور: ٤٧ – ٤٨لح

فيقتضي الإيمان بالقرآن التحاكم إليه، وهذا من الأمور العقدية التي كُرِّرت وقُرِّرت في السور المدنية.

غ غ غ !غ ن لح

الإيمان بالرسل حظي بنصيب وافر من حديث السور المدنية، فقد جاء فيها التأكيد على وجوب الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام جميعاً، مِن غير

---

(١) ينظر: لباب التأويل:(٢/٥٠).

تفرقة بينهم في وجوب الإيمان بهم جملة؛ كما قال تعالى! ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ البقرة: ٢٨٥لح

كما أُكِّد على وجوب الإيمان بما أُنزِل إليهم جميعا، قال سبحانه! قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ البقرة: ١٣٦لح

وجاء في السور المدنية أيضاً النكير على أهل الكتاب الذين يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض، والحكم على مَن كفر ببعض الرسل أنه كافر بالله تعالى، حيث قال سبحانه! إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ النساء: ١٥٠ – ١٥١لح

كما قُرِّر فيها أنّ الأنبياء والرسل –عليهم الصلاة والسلام– بشرٌ لا يُرفعون فوق منزلتهم، ولا يُعبدون من دون الله؛ كما قال تعالى! مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨٠﴾ آل عمران: ٧٩ – ٨٠، وقيل لنبينا محمد ﷺ، وهو سيد الرسل وخاتمهم: رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ آل عمران: ١٢٨، فالأمر كله لله، والرسل إنما هم مبلِّغون شرع الله إلى عباد الله.

والأنبياء والرسل كلهم خلقهم الله كما خلق غيرهم من البشر؛ كما قال تعالى: إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ آل عمران: ٥٩، وأمروا أقوامهم بعبادة الله وحده؛ كما أخبر الله عن عيسى عليه السلام أنه قال لقومه! إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾ آل عمران: ٥١،

ونهى الله عن الغلو فيهم؛ كما قال تعالى! يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ النساء: ١٧١ط وبيّن أنّ عيسى ﷺ إنما هو بشرٌ يحتاج إلى ما يحتاجه غيره من البشر؛ كما في قوله سبحانه: مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ المائدة: ٧٥.

كما اشدّ النكير على من قتلوا الأنبياء فاستحقوا العذاب؛ كما قال تعالى مُخبِراً عن اليهود: ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ البقرة: ٦١ط ه ز ! إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ آل عمران: ٢١، وقال تعالى: ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ آل عمران: ١١٢ط ه ز ﷻ! أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾ البقرة: ٨٧ طع ق غ غلح

كما قُرِّر في السور المدنية أنّ النبوة والرسالة اصطفاء من الله سبحانه؛ كما قال تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ آل عمران: ٣٣ط وأنّ وظيفة النبيين والمرسلين هي التبشير للمؤمنين والإنذار للكافرين؛ كما قال تعالى! كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ البقرة: ٢١٣ط وقال سبحانه! رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ النساء: ١٦٥ظ ولذلك أوجب الله تعالى التأدّب معهم، وذكَر شيئاً مما يجب عند خطابهم؛ كما في قوله تعالى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا البقرة: ١٠٤ط وقوله! دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ

بَعۡضِكُم بَعۡضٗا النور: ٦٣ وقوله! يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ الحجرات: ٢.

وبيّن الله سبحانه أنّ نبيّنا محمداً ﷺ قدوةٌ للمؤمنين؛ كما قال تعالى! لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ الأحزاب: ٢١ح

كما جاء الحديث في السور المدنية عن بعض المعجزات التي أيّد الله بها الأنبياء، فذكر اللهُ معجزة نبينا محمد ﷺ، وهي نزول القرآن الذي تحدّى الله الخلق أن يأتوا بمثله؛ كما في قوله تعالى! بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ البقرة: ٢٣ط وذُكِرت بعض معجزات موسى ؛ كما في قوله تعالى! وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ البقرة: ٥٠، ومما جاء ذكره من معجزات عيسى قوله تعالى! وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ آل عمران: ٤٦ط هـ ! وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ آل عمران: ٤٩، وقوله ﷻ! إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ المائدة: ١١٠ح

وذُكِر في السور المدنية كذلك بعض ما خص الله به بعض أنبيائه؛ كما قال تعالى! وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ النساء: ١٦٤، ومن ذلك عناية الله بنبيه محمد ﷺ، الذي أمره الله بتبليغ دينه، ووعده بعصمته من الناس؛ فقال تعالى! يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ أُنزِلَ

إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ المائدة: ٦٧، وقد قيل معنى عصمته من الناس هنا: أي عصمه من القتل، فلا يصلون إلى قتله ﷺ(١).

كما ذُكِر أخذ العهد على النبيين بوجوب الإيمان برسولنا محمد ﷺ لو بعث فيهم؛ فقال سبحانه: وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ آل عمران: ٨١

وذُكِر في السور المدنية كذلك تفضيل بعض الأنبياء والرسل على بعض؛ كما في قوله تعالى: تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ البقرة: ٢٥٣

والمراد بتفضيل بعضهم على بعض "أنّ الله جعل لبعضهم مِن مزايا الكمال فوق ما جعله للآخر، فكان الأكثر مزايا فاضلا، والآخر مفضولا"(٢)، وتفضيل بعض الأنبياء على بعض، وكون نبينا محمد ﷺ أفضلهم، من الأمور المجمع عليها عند المسلمين، قال الخازن: "وأجمعت الأمة على أنّ الأنبياء بعضهم أفضل من بعض وأنّ نبيّنا محمداً ﷺ أفضلهم"(٣).

كما بُيِّن أنّ الرسل كثيرون، فمنهم مَن لم يُذكر اسمه ولم تُعرف قصته؛ كما قال تعالى: وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ النساء: ١٦٤.

وهكذا نجد السور المدنية قد قرّرت كثيراً مما يجب على الناس تجاه الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وذكرت طرفاً من أخبارهم ومعجزاتهم وعناية

---

(١) ينظر: معالم التنزيل:(٢/٦٩).

(٢) فتح القدير:(١/٣٠٨).

(٣) لباب التأويل:(١/١٨٧).

الله بهم، مما يرسِّخ العقيدة الصحيحة فيهم، ويزيل ما سوى ذلك من العقائد الباطلة نحوهم.

غ غ !غ ن ـغ لح

ورد ذكر اليوم الآخر في السور المدنية كثيرا، سواء بالأمر بالإيمان به، أو عدِّ ذلك من صفات المؤمنين، أو التذكير بما يكون بعد الموت من البعث والجزاء والحساب، وأحداث يوم القيامة، أو التذكير بالجنة والنار.

فمن أوائل صفات المؤمنين التي ذكرت في سورة البقرة: الإيمان باليوم الآخر إيماناً يصل إلى درجة اليقين؛ كما قال تعال ﻫ! مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ البقرة: ﻫ وجُعِل الإيمان باليوم الآخر سببا للنجاة؛ كما قال سبحانه! إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ البقرة: ٦٢، وأوّلُ ركنٍ مِن أركان الإيمان يُذكر بعد الإيمان بالله هو الإيمان باليوم الآخر؛ كما في قوله تعالى: لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ البقرة: ١٧٧.

كما نجد التحذير من سلوك سبيل الذين لا يؤمنون باليوم الآخر؛ كما في قوله تعالى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ البقرة: ٢٦٤، وقوله سبحانه! وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ النساء: ٣٨ – ٣٩.

وكثيرا ما يتكرّر في السور المدنية ربط الأحكام التشريعية بالتذكير بالإيمان بالله واليوم الآخر؛ كما في قوله تعالى! وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ البقرة: ٢٢٨ هـ ! وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ البقرة: ٢٣٢، وقوله ﷻ! وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ الطلاق: ٢، وقوله ﷻ: فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ النساء: ٥٩.

ويأتي التأكيد على أنه لا يُخْلِص في العمل الصالح إلا مَن آمن باليوم الآخر حق الإيمان؛ كما قال تعالى! إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ التوبة: ١٨ وأنّ الإيمان باليوم الآخر سبب للاقتداء بالأنبياء والمرسلين وسلوك سبيلهم في العبادة؛ كما قال تعالى: لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ الأحزاب: ٢١ وقوله سبحانه! لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ الممتحنة: ٦

وأمّا عناية السور المدنية بتقرير البعث فواضحٌ أتمّ الوضوح، ففي سورة البقرة وحدها خمس قصص جاءت لتقرير قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، فأولها ما جاء في قوله تعالى! وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ البقرة: ٥٥ - ٥٦، وثانيها ما جاء في قوله تعالى! فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ البقرة: ٧٣ وثالثها ما جاء في قوله ﷻ: أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً

لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾ البقرة: ٢٥٩ ، ﴿ ظ ﴾ ﷻ! وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ البقرة: ٢٦٠ وخامسها ما جاء في قوله سبحانه: أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡ البقرة: ٢٤٣.

وتؤكد السور المدنية على أنّ وقت قيام الساعة مِن علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه؛ كما في قوله تعالى! يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ الأحزاب: ٦٣

ونجد التذكير بالجنة والنار كثيراً في السور المدنية، وفي ذلك تأكيدٌ على ما يجب اعتقاده من أحداث اليوم الآخر، وأنّ مصير العباد بعد حصول الحساب إمّا إلى الجنة أو إلى النار.

ومن أمثلة التبشير بالجنة وحث المؤمنين على المسارعة إليها وأنها أُعِدّت للمتقين قوله سبحانه! وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم البقرة: ٥ ه ! وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ آل عمران: ١٣٣، كما قُرِّر أنّ أهل الجنة خالدين فيها، وذلك في مواضع كثيرة من السور المدنية؛ منها قوله تعالى: وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ البقرة: ٨٢، وقوله سبحانه! وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ آل عمران: ١٠٧، وقوله ﷻ: فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا المائدة: ٨٥، وقوله تعالى! وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖ التوبة: ٧٢

وقُرِّر في السورة المدنية كذلك أنّ الشهداء أحياءٌ عند ربِّهم يتنعّمون بما أعده الله للشهداء وليسوا أمواتاً؛ كما قال تعالى! وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ البقرة: ١٥٤، وقال سبحانه! وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ آل عمران: ١٦٩ﵞ

وجاء التحذير كثيراً من النار وبُيِّن أنها أُعِدّت للكافرين، قال تعالى! وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ البقرة: ٢٤، وبيّن أنهم خالدين فيها، كما قال تعالى! وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ البقرة: ٣٩، كما جاء الردّ على مَن زعم عدم خلود الكافرين في النار، حيث قال تعالى: وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ البقرة: ٨٠ - ٨١ﵞ ﻫ ﻧ ! ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا ... وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ آل عمران: ٢٤ - ٢٥ﵞ وبيّن أنّ النار دركات، وأنّ مصير المنافقين أسفل تلك الدركات، فقال سبحانه! إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ النساء: ١٤٥ﵞ وأنّ الكافرين مع ما يصيبهم مِن خزيٍ في الدنيا فإنّ مصيرهم النار في الآخرة؛ كما قال تعالى! وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ البقرة: ٨٥ﵞ ﻫ ﻧ ﻍ ! سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ التوبة: ١٠١ﵞ

وتكرّر التأكيد على أنّ الحُكم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم هو حكم الله بينهم يوم القيامة، حين توفى كل نفس ما كسبت في الدنيا من عمل؛ كما في قوله سبحانه! فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ البقرة: ١١٣، وقوله تعالى! فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ النساء: ١٤١،

وقوله ﷻ: فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ آل عمران: ٢٥، وقوله سبحانه! كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ آل عمران: ١٨٥ح

وجاء التذكير كثيراً بأنّ المرجع والمآب إلى الله يوم القيامة؛ ليجازي كلاً بما عمل، قال تعالى! وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ البقرة: ٢٠٣، وبيّن أنّ مِن أدعية المؤمنين قولهم: رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ آل عمران: ﻁ ﻫ ﻧ ! وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ آل عمران: ١٥٨، وقال سبحانه! وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ المائدة: ٩٦ﻁ وجُعِل تذكُّرُ ذلك داعياً للإيمان به سبحانه، حيث قال تعالى! فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ البقرة: ٨ﻁ ﻉ ﻭ ﻍ ﻁ ﻧ ﺟﻞﺟﻼﻟﻪ! مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةًۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ البقرة: ٤٥ﻁ ﻫ ﻧ ! وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ البقرة: ٢٨١ح

وهذه الآيات وغيرها من الآيات المؤكِّدة للزوم الإيمان باليوم الآخر، مما ورد في السور المدنية ولم نذكره خشية الإطالة، يدلّ أوضح دلالة على كبير عناية السور المدنية بتقرير هذا الركن العظيم من أركان الإيمان.

غ غ ۊ ک!غ ن ۊلح

الإيمان بالقدر أصلٌ من أصول الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، ففي الصحيح من حديث عمر بن الخطاب ﷺ في سؤال جبريل ﷺ الرسولَ ﷺ عن الإيمان قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره"(١).

وقد ركّزت السور المدنية على تقرير أهمية الإيمان بالقدر، وتكرر في مواضع منها تبيين أنّ القدر سرُّ الله في الخلق، فقد يُقدَّرُ شيءٌ يكون في ظاهره شرٌّ يكرهه الناس، ولكنه في مآله خيرٌ كلّه، وقد يتمنى الناس شيئاً مما يحبُّون، ولكنه لو تحقّق لكان فيه شراً لهم؛ كما قال تعالى! ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ البقرة: ٢١٦ط ه ز غ ع مغ ه غ ! ﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ النساء: ١٩لح

وقد امتدح الله عباده المؤمنين بالقضاء والقدر، وبشَّرهم بنيل رحمة الله وحُسن ثنائه عليهم، ووصفهم بالمهتدين، فقال سبحانه! ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ البقرة: ١٥٥ – ١٥٧.

وقُرِّر في السور المدنية كذلك أنّ الأقدار والآجال مكتوبة، وذلك حتى يواجه المسلم الصعاب والأهوال بنفس مطمئنة وقلب ثابت، كما قال تعالى! ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ التوبة: ٥١لح

(١) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والإسلام والقدَر وعلامة الساعة:(١/١٨٧)، وينظر: القضاء والقدر، تأليف: د. عمر الأشقر: ص(١١).

كما أكّدت آياتها أنّ مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة يجتمعان فيما كان وما سيكون، فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ الله تعالى إياه فليس بكائن؛ لعدم مشيئة الله تعالى، وليس لعدم قدرته ﷻ عليه، قال تعالى! وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ البقرة: ٢٥٣ط ه ذ! وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً المائدة: ٤٨[1]ح

ومع تقرير السور المدنية على أنّ الأقدار مكتوبة ونافذة إلا أنها لم تُغفِل الأمر بالأخذ بالأسباب؛ بل جاء فيها الحث على الإعداد والعمل بما يمكن من الأسباب مع عدم الاعتماد عليها، وإنما يكون التوكل على الله تعالى، واليقين بأنّ هذه الأسباب وإن كنّا مأمورين بالعمل بها إلا أنها لا تُغيِّر مِن أقدار الله شيئاً، فقد علِمَ سبحانه الأشياء قبل وقوعها، وكتب الأقدار قبل حصولها، ثم شاء وقوع هذه الأقدار حسبما اقتضت حكمته جلّ وعلاح

ه ظ غ غ ! وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ الأنفال: ٥٩ – ٦٠، فنجد الآية الأولى تقرر قَدَرَ الله في الأمر: أنّ الذين كفروا لن يسبقوا، ولن يعجزوا الله، أي أنهم لن ينتصروا، والآية التالية مباشرة تأمر المؤمنين بأن يُعِدُّوا للكفار ما استطاعوا مِن قوة لكي يتم هذا النصر المقرر في

(١) ينظر: القضاء والقدر، للدكتور عمر الأشقر: ص(٣٢).

قدر الله، فعلى الرغم من أنه قدرٌ مقدورٌ، فإنه لا بد من هذا الجهد البشري لكي يتحقق وينفذ(١).

وتربِّي السور المدنية في نفس المؤمن أنه لا يصحّ الاحتجاج بالقدر في المعايب، وإنما يكون الاحتجاج به صحيحاً في المصائب، فإذا حلّت بالمسلم نازلة فيجب أن يتفقّد نفسه ويوقن أنّ ذلك بسبب تقصيره، فيتدارك الخلل، ويصلح الخطأ؛ كما قال سبحانه! ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦﴾ آل عمران: ١٦٥ - ١٦٦الح

فالإيمان بالقدر والاستسلام لما قضاه الله ليس معناه إعفاء من التبعة على المكلفين إذا كان قدَرُ اللهِ قد أصابهم بسبب خطأ وقع منهم، إنما يستسلمون لقدر الله، أي: يرضون نفسياً بوقوعه ما دام قد وقع بالفعل، ثم يدركون مسؤوليتهم في وقوعه، فلا يعودون لهذا الخطأ مرة أخرى، ثم يحاولون أن يمحوا آثاره بجهد يبذلونه من عند أنفسهم، ليستحقوا قدراً جديداً من عند الله، يغير الشر إلى خير(٢).

وتؤكِّد السور المدنية على وجوب الاعتقاد التام أنّ الآجال مكتوبة، والأعمار محدودة، وأنّ الحياة والموت بيد الله وحده، وأنّ الأقدار نافذة بما كتب الله تعالى؛ كما قال سبحانه! ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗا﴾ آل عمران: ١٤٥، كما أنّ الموت قد قُدِّر على كلِّ حيٍّ سوى الله ﷻ؛ كما قال تعالى:

---

(١) ينظر: دراسات قرآنية، للشيخ محمد قطب: ص(١٠٨).

(٢) ينظر: المرجع السابق: ص(١٠٩).

أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ النساء: ٧٨، فالهروب من الموت لا يمكن، ومحاولة النجاة منه لا تجدي؛ قال سبحانه! قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ الأحزاب: ٦ ! ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ آل عمران: ٦٨

وفي هذه الآيات وأمثالها ترسيخٌ لأهمية الإيمان بالقدر، وتربيةٌ للمسلم على مواجهة هذه الحقيقة بيقين تام أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، فعلى الإنسان أن يحسن العمل، ويتوكل على الله، ويعلم أنه لا رادّ لقضائه، ولن يحصل شيء في هذا الكون إلا بتقديره جل وعلا؛ كما قال سبحانه! قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ التوبة: ٥١.

ومن الأساليب التي جاءت في السور المدنية لتعزيز مبدأ الإيمان بالقدر: أسلوب الثناء على المؤمنين الذين تمثّلوا هذه العقيدة الصحيحة، وخاصة عند مواجهة الصعاب، والوقوف في وجه الباطل وأهله بقوة ويقين أنه لن يصيبهم إلا ما قُدِّر لهم، مما كان له الأثر البالغ في ثباتهم ونصرهم على أعدائهم؛ كما قال تعالى -مُثنياً على صحابة النبي ﷺ، ورضي الله عنهم! ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٖ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ آل عمران: ١٧٢ – ١٧٤، "حيث تفضّل عليهم بالعافية وما ذكر معها، وبالحفظ عن كل ما يسوؤهم، وفيه تحسيرٌ

للمتخلف وتخطئةُ رأيِه، حيث حرم نفسه ما فازوا به"[١] بسبب إقدامهم وإيمانهم بالقدر، وخسر غيرهم لجبنه وضعف إيمانه بقدر الله تعالى.

وهكذا نجد السور المدنية أولت الإيمان بالقدر عناية كبيرة، وقُرِّر فيها أنّ ذلك لا ينافي الأخذ بالأسباب، فالكل واقعٌ بقدر الله تعالى، فإنّ "الذي يفقه عن الله مراده في القدر يعلم أن القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال، بل يدفع إلى الجد والاجتهاد والحرص على تحصيل ما ينفعه في الدنيا والآخرة"[٢].

---

(١) محاسن التأويل: (٢/٤٦٠).

(٢) القضاء والقدر، للدكتور عمر الأشقر: ص(٨٥).

المبحث الثاني: عناية السور المدنية بمواضيع عقدية أخرى:

المتأمل في المواضيع العقدية التي احتوتها السور المدنية يجد فيها إلى جانب الحديث المستفيض عن أركان الإيمان عنايةً بمواضيع أخرى ذات صلة بالعقيدة، وتلك المواضيع كثيرة ومتفرقة في السور المدنية، ولمجرد التمثيل فقد اقتصرت على ما يأتي في المطالب الآتية!

غ غ ه ز! غ ﷺ ﻫ ه ﷺ!

اختصّت السور المدنية بتقرير بعض حقوق نبينا محمد ﷺ، وخصوصياته، وواجبات الأمّة نحوه، وسورة الأحزاب خير دليل على ذلك، فقد أكّدت السورة على أنه خاتم الأنبياء؛ حيث قال تعالى! مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ الأحزاب: ٤٠، كما أكّدت على شيءٍ من خصوصياته في أحكام الزواج، ومنها جواز هبة المرأة نفسها للنبي ﷺ من غير مهر، وإعفاؤه من القسم بين الزوجات، والاقتصار على زوجاته التسع، ومجمل هذه الخصوصيات وردت في قوله تعالى! يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ الأحزاب: ٥٠ - ٥٢ح

وقُرِّر أنه هو القدوة -عليه الصلاة والسلام- دون غيره؛ كما قال تعالى! لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ الأحزاب: ٢١، كما خُصّ ﷺ بالصلاة والسلام عليه، قال تعالى! إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ الأحزاب: ٥٦ط

كما نجد التحذير والوعيد الشديد لمن آذى النبي ﷺ بشيءٍ من أنواع الأذى؛ حيث يقول تعالى! إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ الأحزاب: ٥٧ط

أمّا آل بيته ﷺ فقد جاء في السور المدنية مجموعة من خصائصهم وحقوقهم، ومن ذلك جعل أزواج النبي ﷺ أمهاتٍ للمؤمنين، كما في قوله تعالى! ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ الأحزاب: ٦ط هي ﷺ

! وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا الأحزاب: ٥٣ط

ي غ غ ﷺ و غ ظ ! وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ الأنفال: ٤١، "أي: ذوي قربى الرسول، أي: قرابته، وذلك إكرامٌ مِن الله لرسوله ﷺ إذ جعل لأهل قرابته حقا في مال الله، لأن الله حرم عليهم أخذ الصدقات والزكاة، فلا جرم أنه أغناهم من مال الله، ولذلك كان حقهم في الخمس ثابتا بوصف القرابة"(١).

ومن ذلك -أيضاً- أنّ الله تعالى أبان عنايته بآل بيت النبي ﷺ بتطهيرهم من كل دنس، حيث قال تعالى! إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ الأحزاب: ٣٣ط

(١) التحرير والتنوير:(٩/١٠).

ولا تخلو السور المدنية مِن الذبِّ عن أمهات المؤمنين وبيان أنهنّ طيبات اختارهن الله تعالى ليكنّ زوجاتٍ لسيّد المرسلين وأمهاتٍ للمؤمنين؛ ففي سورة النور نجد تبرئة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مما بُهِتت به؛ حيث قال تعالى! إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ النور: ١ ط ع ! ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾ النور: ٢٦ ح

وفي سورة التوبة نجد التأكيد على مكانة النبي ﷺ، وبيان ما يجب له من حقوق، والتحذير من إيذائه، أو التخلّف بلا عذرٍ عن ركبٍ سار فيه، والوعيد الشديد لمن آذاه ﷺ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى! وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾ التوبة: ١ ط ه ! مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ التوبة: ٢٠ ط ه ! لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ التوبة: ٢٨ ح

أمّا صحابته الكرام ﵃ فقد تميّزت السور المدنية بذكر فضائلهم وما أعدّ الله لهم؛ فقد وصفتهم بالصُّحبة؛ كما أخبر الله تعالى عن صُحبة أبي بكر ﵁ للنبي ﷺ في قوله سبحانه! إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا التوبة: ٤٠، وأخبر الله تعالى عن رضاه عنهم وجزائه لهم: كما في قوله ﷻ: وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ التوبة: ٠٠ ط ه ! لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴿١٨﴾ الفتح: ٨ ط ه ! لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ

ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ الحشر: ٨ – ٩، كما بيّن الله تعالى ما يجب تجاه الصحابة الكرام، من الدعاء لهم، وعدم كُره أحدٍ منهم، حيث قال سبحانه! وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ الحشر: ١٠لح

غ غ !غ غ مﻫ لح

ممّا يميّز السور المدنية الحديث الذي جاء فيها بشيء من التفصيل عن النفاق والمنافقين، وذلك لأنّ ظاهرة النفاق إنما ظهرت بالمدينة، فتنزّلت آيات القرآن الكريم للتحذير من عداوة المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، ويتربصون بالمسلمين الدوائر، ويحيكون لهم المكائد، وعدّدت تلك آيات تلك السور صفات المنافقين، وبيّنت أساليبهم في المكر بالمؤمنين، وفضحت خططهم، وأوضحت طرق التعامل معهم.

ومن السور المدنية التي تناولت موضوع النفاق والمنافقين والتحذير من عداوتهم ومكرهم: سورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة النساء، وسورة التوبة، وسورة الأحزاب، وسورة الفتح، وسورة المنافقون، وغيرها.

فأوّل ما تستفتح به سورة البقرة بذكر بعض صفات المؤمنين في ثلاث آيات، ثم بيان شيءٍ من أحوال الكفار في آيتين، ثم تفصّل في ثلاث عشرة آية كثيراً من صفات المنافقين وأحوالهم!، وبداية تلك الآيات قوله تعالى! تَمُوتُنَّ إِلَّا

وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ البقرة: ٨، ثم يتكرر في مواضع من السورة التحذير من المنافقين وبيان بعض صفاتهم وأحوالهم.

وفي سورة آل عمران جاء ذكر بعض أفعال المنافقين وأقوالهم عند استعراض أحداث غزوة أحد، حيث بيّن الله تعالى أنّ المنافقين يُخذِّلون المؤمنين، ويُظهِرون ما لا يُبطنون؛ كما في قوله تعالى! وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ آل عمران: ١٥٤ط هـ ! وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ آل عمران: ١٦٦ - ٦٧الح

وفي سورة النساء نجد الحديث عن المنافقين يأخذ عدداً من الآيات، ما بين ذكرٍ لبعض صفاتهم، إلى بيان شيءٍ مِن أساليب حربهم للإسلام وأهله، ثم الحكم على مصيرهم إن لم يتوبوا قبل الموت ويصلحوا ويخلصوا دينهم لله تعالى.

ومن الآيات التي تحدّثت عن أوصاف المنافقين وأصنافهم قوله تعالى! فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ ﴿٨٨﴾ النساء: ٨٨ط ثم مضت الآيات بعد هذه الآية في ذكر شيءٍ من أحوال المنافقين وعداوتهم للمؤمنين ووقوفهم في صف الأعداء عند المواجهة، ووجوب منابذتهم والحذر من مكرهم.

وممّا ذكر في هذه السورة من صفات المنافقين أنهم يتحاكمون إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما قال تعالى! وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ النساء: ١ط هـ ق !

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ النساء: ١٤٢ – ١٤٣

وقد بيّن الله تعالى جزاء المنافقين في قوله سبحانه: بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ النساء: ١٣٨، وقوله –مبيّناً مصيرهم إن ماتوا على النفاق وداعياً لهم إلى التوبة–: إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ النساء: ١٤٥ – ١٤٦

وتأتي سورة التوبة لتفضح المنافقين، وتذكر المزيد من أوصافهم، وتستعرض قدراً كبيراً من أحوالهم ومواقفهم من دين الإسلام ونبيه ﷺ والمؤمنين، ولذا فقد وردت أسماء لهذه السورة، ومنها: «الْمُقَشْقِشَة»، «الْمُبَعْثِرة»، و«الْمُنَقِّرة»، و«المثيرة»، و«الحافرة»، و«المخزية»، و«الفاضحة»، و«الْمُنَكِّلة»، و«الْمُشَرِّدة»، و«الْمُدَمْدِمَة»، لما فيها من التوبة للمؤمنين، والقشقشة من النفاق، وهي التبري منه، والبحث عن حال المنافقين وإثارتها والحفر عنها، وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم(١).

والآيات التي تحدثت عن المنافقين في سورة التوبة كثيرة، ونذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى: ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ التوبة: ٦٧، يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ التوبة: ٦٤، يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل: (٣/٧٠).

بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ التوبة: ٧٣ - ٧٤ ! وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ التوبة: ١٠١، إلى غير ذلك من الآيات في هذه السورة التي أكثرت في بيان أحوال المنافقين، وذكرت أقوالهم وشبهاتهم، وردّت عليهم.

وسورٌ مدنية أخرى تستعرض أقوال المنافقين وأحوالهم وتبين مصيرهم، ففي سورة الفتح مثلاً يقول الله تعالى! وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ الفتح: ٦ ... وقال عز وجل! وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ الأحزاب: ١٢

وسورة أخرى مدنية تحدّثت من أوّل آياتها عن صفات المنافقين وأحوالهم، ولذا سميت (سورة المنافقون)، وقد افتتحت بقوله تعالى! إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ المنافقون: ١، ثم ذُكِر فيها تفصيلٌ لصفات المنافقين وذِكْرٌ لبعض أحوالهم لم يُذكر حتى في السور الطوال، وهو ما جاء في قوله تعالى! وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ المنافقون: ٤، وهكذا تمضي آيات السورة في الحديث عن المنافقين وذكر أقوالهم والرد عليهم وتحقيرهم وبيان مصيرهم

غ غ إغ ء غ غ هة ع غ يخ

اختصّت السور المدنية بالحديث المفصّل عن أهل الكتاب –من يهود ونصارى– وتوجيه الخطاب لهم أحياناً، ودعوتهم إلى الدخول في الإسلام، وبيان ما هم عليه من الضلال، وذكر قصص الذين كفروا بأنبيائهم منهم، واستعراض جرائمهم، وتحذير المسلمين من عدواتهم، ومحاجّتهم، وغير ذلك من أوجه الحديث عنهم.

وقد كثر الحديث عن أهل الكتاب في طوال السور المدنية؛ لأنهم إنما كانوا في المدينة، وخاصة اليهود، وقد كان الحديث القرآني عنهم منصبّاً على بيان عقائدهم الباطلة، وأديانهم المحرّفة، وبيان أنّ معركة المسلمين العقدية ستبقى مع أهل الكتاب ما بقي الليل والنهار؛ كما قال تعالى! وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ البقرة: ٢٠الح

وبيّن الله تعالى ما عليه أهل الكتاب من خلاف وشقاق، فقال سبحانه! وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ البقرة: ١٣الح

ومما ذُكِر في السور المدنية من صفات أهل الكتاب: سعيهم في إغواء المسلمين، ولهذا حذّر الله المؤمنين منهم؛ كما في قوله تعالى! يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ آل عمران: ٠٠ط هـ ن ! وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا المائدة: ٦٤ظ بم هـ! ن ع زغ ط هـ ظ بم[1]الح

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية: (١٨٠٣/٣).

وجاء التأكيد في السور المدنية أيضاً على أنّ كتب أهل الكتاب قد حُرِّفت؛ كما في قوله تعالى! فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ البقرة: ٧٩ ! مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ النساء: ٤٦ ! وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ المائدة: ٤١

ونجد في السور المدنية كذلك إبطال دعوى أهل الكتاب بوراثة الدِّين وتخصيصهم بدخول جنات النعيم؛ حيث قال تعالى مُخبراً عنهم! وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ البقرة: ١١١ ! وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ البقرة: ١٣٥

كما نجد في السور المدنية الآيات المتتابعة في استعراض بعض جرائم أهل الكتاب، وبيان ما هم عليه وما كان عليه أسلافهم من الضلال، وتعنّتهم مع أنبيائهم، كما في قوله تعالى! يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ النساء: ١٥٣ - ١٦١

ونجد التأكيد على عداوة أهل الكتاب للمسلمين وحسدهم لهم؛ كما في قوله تعالى! ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ البقرة: ١٠٥، ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ البقرة: ١٠٩، ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ آل عمران: ٦٩.

كما نجد في السور المدنية أيضاً وصفهم بالكفر والأمر بدعوتهم إلى الإسلام، حيث قال تعالى! ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ آل عمران: ٦٤، ونهاهم الله تعالى عن خلط الحق بالباطل وكتم الحق والاستهزاء بالمؤمنين، فقال ﷻ! ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ آل عمران: ٧١ – ٧٢، وعاب عليهم عدم إيمانهم برسوله محمد ﷺ وكتابه القرآن، مع أنهم يعلمون أنّ محمداً ﷺ مرسلٌ من ربّه، وكتابه القرآن مصدق للكتب السابقة، حيث قال تعالى! ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ البقرة: ٤٠ - ٤٢، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ النساء: ٤٧، وقال سبحانه! ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ المائدة: ١٥.

ومن البيان الواضح لما ينبغي اعتقاده في أهل الكتاب وجوب العدل معهم والعلم بأنهم ليسوا سواء، فنجد في آيات السور المدنية الثناء على من أسلم

منهم؛ كما في قوله تعالى! لَيْسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ آل عمران: ١١٣ – ١١٤.

وهكذا نجد آيات السور المدنية مليئة بذكر عقائد أهل الكتاب الباطلة، والرد على شبهاتهم التي يوردونها لمحاولة إضلال المسلمين، ودعوتهم إلى نبذ ما هم عليه من الكفر، وحثهم على الدخول في الإسلام؛ لينالوا رحمة الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام.

غ غ غ !غ ع ذ لح

مسألة الحكم بما أنزل الله تعالى من المسائل التي تكرر التأكيد عليها في السور المدنية، سواء بالأمر المباشر بالحكم بما أنزل الله، أو بالنهي عن ضّده، أو بالتعريض بالذين لا يحكّمون شرع الله في حياتهلح

فقد قُرّر التأكيد على أنّ التشريع حقٌّ لله ﷻ وحده، ومن الآيات الواردة في السور المدنية مقررة لهذا المعنى قوله تعالى! وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ الأحزاب: ٣٦لح

وبيّن الله تعالى أنه لا يتمّ إيمان مؤمن حتى يحكّم شرع الله تعالى ورسوله ﷺ في كل شيء؛ كما قال تعالى! فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ النساء: ٦٥، فقد "أقسم الله تعالى في هذه الآية الكريمة بنفسه الكريمة المقدّسة أنه لا يؤمن أحدٌ حتى يُحكِّم رسوله ﷺ في جميع الأمور، ثم ينقاد لما حكم به ظاهراً وباطناً، ويُسلِّمه

تسليماً كلّياً من غير ممانعة، ولا مدافعة، ولا منازعة، وبيّن في آية أخرى أنّ قول المؤمنين محصورٌ في هذا التسليم الكلي والانقياد التام، ظاهراً وباطناً لما حكم به ﷺ، وهي قوله تعالى! إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا النور: ٥١ﱠ(١)ﱡ ه ن ظ ع ه! فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ النور: ٦٣ﱠ

وتكرّر التأكيد على هذه الأمر في عدة مواضع من السور المدنية؛ كما في قوله تعالى! فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ النساء: ٥٩ﱠ

ومع أنّ هذا الأمر قد جاء تقريره في السور المكية، إلا أنه أخذ حيّزاً وافراً في السور المدنية، ففي سورة واحدة -وهي سورة المائدة- نجد جملة من الآيات تؤكِّد على هذا الموضوع العقدي البالغ الأهمية، كما في قوله تعالى! وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ المائدة: ٤٤، وقوله! وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ المائدة: ٤٥ﱠ ه ! وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴿٤٧﴾ المائدة: ٤٧ﱠ ه ! أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ المائدة: ٥٠ﱠ قال ابن القيم: "فأكّد هذا التأكيد وقرّر هذا التقرير في موضِعٍ واحِدٍ؛ لِعِظَمِ مفسدة الحكم بغير ما أنزل الله وعموم مضرته وبلِيَّة الأُمّة به"(٢).

---

(١) أضواء البيان: (٢٤٥/١).

(٢) إعلام الموقعين: (٣٨٨/١).

وهكذا نجد العناية البالغة في السور المدنية بتقرير وجوب الحكم بما أنزل الله، وفساد عقيدة من لم يحكم بما أنزله الله تعالى في كتابه، أو شرعه على لسان رسوله ﷺ.

غ غ ! لح

مسائل العقيدة التي أكّدت عليها السور المدنية كثيرة ومتنوعة ومتفرقة في سورها، وإنما المقصود ذكر نماذج لتلك المسائل، وأمثلة من الآيات التي دلت عليها، ومن تلك المسائل ما يلي:

ىلمسألة التأكيد على أنّ دين الإسلام هو الدين الذي لا يقبل الله غيره، كما في قوله سبحانه! ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ آل عمران: ٨٥ هـ ! ﴿ٱلْيَوْمَ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ المائدة: ٣ ي غ ق غ عن ق غ غ ط ز ! ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ البقرة: ١٤٠ هـ ز ! ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ البقرة: ١٣٥ وقال سبحانه! ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ آل عمران: ٦٧ هـ ز! ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ آل عمران: ٩٥ هـ ز ﷻ! ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ النساء: ١٢٥ هـ ز! ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ البقرة: ١٣٢ هـ ز هـ ! ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ

وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ البقرة: ١١١ - ١١٢ط

ه ن ﷻ! إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ آل عمران: ١٩الح

ىلجمسألة التحذير من الارتداد عن دين الإسلام، كما في قوله تعالى! وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ البقرة: ٢١٧، وقوله! وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ آل عمران: ٨٠، وقوله! يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ آل عمران: ٨٦، وقوله! إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ آل عمران: ٩٠، وقوله! يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ المائدة: ٥٤ ، وقوله! وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ التوبة: ٧٤، وقوله ﷻ: وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ التوبة: ٦٥ - ٦٦لح

ءلجمسألة الولاء والبراء، فهذه المسألة وإن كان قد قُرِّرت مِن قَبل في السور المكية إلا أن تفصيلاتها إنما ذكرت في السور المدنية؛ كما في قوله تعالى! لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً آل عمران: ٢٨، ويأتي النهي عن اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، فيقول تعالى! يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ آل عمران: ١١٨ ، وفي موضع من سورة المائدة يقول سبحانه! يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ المائدة: ٥١، ثم يأتي التأكيد على مسألة وجوب تولي المؤمنين؛ فيقول تعالى! إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ المائدة: ٥٥ - ٥٦، ثم يعود السياق إلى التأكيد على مسألة وجوب البراءة من المشركين، فيقول ﷻ: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ المائدة: ٥٧لح

وفي سورة الأنفال يقول تعالى! إِنَّ ٱلَّذِينَ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ الأنفال: ٧٢ – ٧٣لح

ومن عناية السور المدنية بعقيدة الولاء والبراء أنه قد عيب على اليهود الذين اتخذوا الكفار أولياء، وعُدّ هذا العمل منافياً لإيمانهم، فقال تعالى: لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ المائدة: ٧٨ – ٨١لح

ئلجمسألة زيادة الإيمان، كما قد قُرِّر مِن قِبْل في السور المكية، ﻧ !

ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا آل عمران: ٧٣ط ﻫ ﻧ !

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا الأنفال: ٢ط ﻫ ﻧ

ﻫ ! وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ الأحزاب: ٢٢لح

ئج مسألة كفر الساحر؛ كما في قوله تعالى! ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ البقرة: ١٠٢ لح

ئج مسألة التحذير من كتمان العقيدة الصحيحة، وذكر عقوبة هذا الذنب العظيم؛ كما في قوله تعالى! ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ البقرة: ١٥٩ ط ﻫ ! ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ البقرة: ١٧٤ لح

ئج مسألة خطورة الاستهزاء بالدين، وكفر المستهزئ بشيءٍ منه ! ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ﴾ التوبة: ٦٥ - ٦٦ لح

وغير ذلك من مسائل العقيدة المبثوثة في ثنايا السور المدنية.

□

المبحث الثالث: معالم تقرير العقيدة في السور المدنية:

تقرّر فيما سبق أنّ موضوع العقيدة هو موضوع القرآن كله، مكيه ومدنيه، إلا أنّ هناك معالم لعرض العقيدة في السور المدنية خاصة، ويظهر بعض تلك المعالم في المطالب الآتية!

غ غ ه ن!ق غ غ ه ن غلح

مما لا شك فيه أنّ السور المدنية قد حوت تشريعات تفصيلية وأحكاماً عملية في العبادات والمعاملات؛ كأحكام بعض الصلوات التي لم تشرع في مكة، وبعض أحكام الصيام، والزكاة، والقصاص، والنكاح، والطلاق، والبيوع، والمداينات، والربا، والحدود؛ كحد القتل، والزنا، والسرقة، والكفارات؛ ككفارة القتل الخطأ، والظهار، وتنظيم الأسرة، وما يتعلق بالمواريث، والوصايا، وغيرها من الأحكام.

وهذه التشريعات والتنظيمات حين تُذكر في القرآن فإنها تُربط بالعقيدة بطريقة عجيبة، فليس في هذا الدين عقيدة منفصلة وتشريعات وتنظيمات منفصلة، ولا عبادات منفصلة ومعاملات منفصلة، وإنما نجد السورة وإن طالت وتعددت موضوعاتها إلا أن تلك الموضوعات تُربط بالعقيدة.

إنّ العقيدة الإسلامية عقيدة ذات غاية، "وغايتها سعادة الإنسان في الدارين بالتزام أمر الله، وإعلان خلافته في الأرض، وكل هذا لا يحصل بمجرد الاعتقاد، وإنما لا بد من التطبيق والعملغ غ ط هقد غ غ غغ غ غ

عن ط ه غ لم يخل جانب من جوانب التكليف العملي من

الاقتران والارتباط بمسائل العقيدة الدافعة إلى الامتثال الكامل والأداء الأفضل"(١).

والأمثلة على ربط التشريعات والأحكام بالعقيدة في القرآن الكريم كثيرة؛ ففي الصلاة مثلاً نجد الربط بين إقامتها وبين الإيمان باليوم الآخر والخوف من أهوال ذلك اليوم يأتي في عدة مواضع من القرآن؛ كقوله تعالى! ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ النور: ٣٦ – ٣٧لح

وفي الصلاة على الجنائز نجد بيان أنه لَمّا كانت عقيدة الميت هي الكفر فقد حرُمت الصلاة عليه أو الدعاء له أو الاستغفار له؛ كما قال تعالى! ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ التوبة: ٨٤لح

وفي الزكاة نجد الربط بين أدائها وبين العقيدة الصحيحة، وأنّ أداء الزكاة شعار المسلمين؛ كما قال تعالى! ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ

التوبة: ١لط ه ظ ع ـهـ غ قنغ غ ن هع نغ غ هع ظغ غط

ﻧ ! ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ التوبة: ٨لح

كما نجد التذكير باليوم الآخر وما يكون فيه من جزاء مانعي الزكاة يَرِدُ في مثل قوله تعالى! ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ آل عمران: ٨٠لط ه ! ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ التوبة: ٣٤

---

(١) العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين: ص(٣٥).

– ٣٥، بل وجعل منع الزكاة من صفات المشركين المستحقين للعذاب والذين لا يؤمنون بالآخرة؛ فقال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ۝٧﴾ فصلت: ٦ – ٧.

وفي الحج نجد التأكيد على أمر الإخلاص لله تعالى في أداء هذه الشعيرة العظيمة؛ كما قال تعالى! ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ البقرة: ١٩٦لح

وفي الجهاد يقول تعالى! ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢١٨﴾ البقرة: ٢١٨، ونجد ربط شعيرة الجهاد في سبيل الله بالإيمان، وبيان الجزاء الأخروي الذي يناله المجاهدون في مثل قوله تعالى! ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٧٤﴾ الأنفال: ٧٤لط هـ ! ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝١٥﴾ الحجرات: ١٥لح

وفي أحكام النكاح والطلاق نجد الآيات الكثيرة التي يُتبع فيها ذكر الحكم بالتذكير الإيمان بالله واليوم الآخر؛ كما في قوله تعالى! ﴿وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ ... وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ﴾ البقرة: ٢٢٨لط هـ ! ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ﴾ البقرة: ٢٣٢لح

ومما يميز السور المدنية أنّ الأحكام والآداب يأتي الأمر بها غالباً بعد نداء المؤمنين ووصفهم بالإيمان الذي هو لبّ العقيدة، وفي هذا ربطٌ واضحٌ بين العقيدة والتشريع؛ إذ المؤمن حقاً من يستجيب لتلك النداءات الربانية، ويطبق الأوامر والأحكام والآداب الشرعيةلح

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا؛ كقوله تعالى! يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى البقرة: ١٧٨ﮓ ﮨ ! يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ البقرة: ١٨٣ﮓ ﮨ ! يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ البقرة: ٢٦٤ﮓ ﮨ ! يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ آل عمران: ١٣٠ﮓ ﮨ ! يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ النساء: ٢٩ﮓ ﮨ !يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ المائدة: ﭩﭪ ﭫ ﭬ ﭭﭮ

وعند ذكر المحرّمات من الأطعمة -مثلاً- نجد التذكير بنعمة إتمام الدِّين والامتنان بالهداية للإسلام، وهذا ربطٌ واضحٌ بين هذه التشريعات وبين العقيدة؛ ! حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣ المائدة: ﭽ

وموضوع هذه الآية كما هو واضح تشريعات بشأن ما يحل وما يحرم من اللحوم، مع بيان حكم المضطر من شدة الجوع، ويأتي في وسطها التذكير بنعمة الدين الذي أُكمِل، والنعمة التي أُتِمَّت، والإسلام الذي رضيه الله ديناً للمسلمين، وصلة ذلك كله بالشريعة وأحكامها بيِّن، حيث يظهر للمتأمِّل أنّ هذه الأحكام الشرعية هي من الدِّين الذي رضيه الله ﷻ للمسلمين والنعمة التي أتمّها عليهمﭽ

غ غ ! يي ء غغ غ ه نء غ غ ذ لح

بينما عنيت السور المكية بتأسيس أمور العقيدة والرد على عموم الكفار دون محاجة تطول أو مجادلة خاصة لأهل الكتاب، فإنا نجد في السور المدنية دعوة أصحاب العقائد الباطلة إلى الإسلام ومحاجّتهم، ومن ذلك ما جاء بشأن أهل الكتاب؛ حيث تكررت في السور المدنية دعوتهم إلى الإسلام، وزجرهم عن البقاء على عقائدهم الباطلة؛ كقولهم بأنّ الله هو المسيح ابن مريم، وقولهم بالتثليث، وادّعائهم أنهم أبناء الله وأحِبّاؤه، وغير ذلك من افتراءاتهم على الله ﷻ.

وقد استعرض القرآن الكريم -النازل في العصر المدني- تلك الأقوال الصادرة منهم، وردّ عليهم، وذلك في مثل قوله سبحانه! لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ المائدة: ٧٢ﮱ ه ! لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ المائدة: ٧٣ﮱ ه ! وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ المائدة: ١٨ لح

ودعاهم إلى الإسلام؛ كما في قوله تعالى! قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ آل عمران: ٦٤، وقوله سبحانه! يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ

ﭐلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ المائدة: ١٥ – ١٦.

كما جاء في السور المدنية أيضاً محاجّة أهل الكتاب والردّ على شبهاتهم في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى! يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ آل عمران: ٦٥، وشُرِعت مباهلتهم إذا استمروا على مجادلتهم بالباطل وتكذيبهم للحق؛ كما قال تعالى! فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ آل عمران: ٦١.

وهكذا نجد السور المدنية حافلة بذكر عقائد اليهود والنصارى، والرد على شبهاتهم، ودعوتهم إلى الإسلام، وما سبق ذكره ليس إلا نماذج يسيرة مما ورد في ذلك

غ غ !غ ﮬ ﻧ ﻏﺢ

تقدّم في المطلب السابق أنّ السور المكية عنيت بتأسيس أمور العقيدة، ثم جاءت السور المدنية لتبرهن لتلك العقائد وتستدل لها، ومن المعلوم أنّ "مِن مميزات العقيدة الإسلامية أنها عقيدة مبرهنة، بمعنى أنها تقيم البراهين الساطعة والحجج الباهرة على كل مسألة فيها، ولا تلزم الناس بالتسليم الأعمى كما في بعض العقائد الأخرى،... بل كان القرآن الكريم يقيم الدليل على كل مسألة من مسائل العقيدة، ثم يطلب من خصومه إقامة الدليل على ما يعتقدون بقوله! ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ البقرة: ١١١، ولا يقول عالم مسلم بأن هذه العقيدة تكتفي بإثارة العواطف ومخاطبة القلب والوجدان، بل إنها تخاطب العقل بالحجج الدامغة، ثم تأخذ طريقها إلى القلوب والأفئدة؛ لأن العقل الصريح يوافق المنقول الصحيح.

إنّ القرآن الكريم يقيم الأدلة من الكون والنفس والتاريخ على ربوبية الله وألوهيته وكماله، ويقيم الأدلة على البعث كذلك بخلق الإنسان أول مرة، وخلق السموات والأرض، وإحياء الأرض بعد موتها، ولن تجد مسألة واحدة من مسائل العقيدة الإسلامية إلا وهي مبرهنة وفيها أدلة كافية لمن كان له قلب يفقه به ويتذكر"(١).

وقد حظيت السور المدنية بنصيب وافر من الاستدلالات لتثبيت العقيدة الصحيحة، حتى غدا ذلك معلماً من معالم عرض العقيدة فيها.

---

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، لمحمد ملكاوي: ص(٢٨).

والأمثلة على ذلك كثيرة، ونذكر منها قوله تعالى! وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ البقرة: ٢١ - ٢٤ل

فنجد في هذه الآيات الأمر بتوحيد الله تعالى والنهي عن الإشراك به ممزوجاً بذكر الدلائل على ما يوجب إفراد الله تعالى بالعبادة، والتي منها: أنه هو الخالق لأولئك المخاطَبين ومَن قَبْلَهم، ومنها: أنه جعل لهم الأرض ممهدة مستوية والسماء سقفا محفوظا، ومنها: أنه أنزل المطر فأخرج به الحبوب والثمار، من نخيل، وفواكه، وزروع، وغيرها، رزقاً للعباد، فبه يتقوّتون ويعيشون ويتفكّهون، ومنها: أنه أنزل القرآن العظيم وتحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثله، بل بسورة من مثل سوره، فهذه الآيات "جمعت بين الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وبيان الدليل الباهر على وجوب عبادته، وبطلان عبادة مَن سواه"(١).

ومما جاء فيه استدلالٌ في السور المدنية أيضاً على وجوب الاعتقاد الصحيح في الله تعالى وما يجب له: ما تكرر مِن لَفْت النظر إلى عظمة هذا الكون وما فيه من مخلوقات تذكِّر بعظمة خالقها ﷻ، وتوجب عبادته ونبذ عبادة سواه؛ كما في قوله تعالى! إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن: ص(٤٤).

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ البقرة: ١٦٤ – ١٦٥، فإنه تعالى لما بين – في الآية الأولى من هاتين الآيتين– وحدانيته وأدلتها القاطعة، وبراهينها الساطعة الموصلة إلى علم اليقين، المزيلة لكل شك، ذكر في الآية الثانية أنّ مِن الناس مع هذا البيان التام من يتخذ من المخلوقين أندادا لله؛ أي: نظراء ومثلاء، يساويهم في الله بالعبادة والمحبة، والتعظيم والطاعة، ومَن كان بهذه الحالة -بعد إقامة الحجة، وبيان التوحيد- عُلِم أنه معاند لله، مشاق له، أو معرض عن تدبر آياته والتفكر في مخلوقاته، فليس له أدنى عذر في ذلك، بل قد حقت عليه كلمة العذاب(١).

ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى! ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ آل عمران: ٥ – ٦؛ فلمّا ذكر تعالى "أنه هو الذي صَوّر في ظلمات الأرحام هذه البنية العجيبة، والتركيب الغريب، وركّبه من أعضاء مختلفة في الشكل والطبع والصفة"(٢)، وكان هذا دليلاً على علم الله تعالى وقدرته على كل شيء، وعجز من سواه، أتبع ذلك بذكر وجوب انفراده ﷻ بالألوهية؛ "إذ لا يتصف بشيء مما ذُكر من الشؤون العظيمةِ الخاصةِ بالألوهية أحدٌ ليُتوهَّم ألوهيتُه"(٣).

وكذلك فإنّ الحُكم على أصحاب العقائد بالباطلة بالكفر والضلال يأتي مُبرهناً بذكر الأدلة على كفرهم وضلالهم، وذلك ببيان أقوالهم وأفعالهم التي استحقوا بها ما أُطلِق عليهم من أحكام.

---

(١) ينظر: المرجع السابق: ص(٧٩)، بتصرف.

(٢) مفاتيح الغيب:(١٣٤/٧).

(٣) إرشاد العقل السليم:(٦/٢).

فعندما بيّن الله تعالى أنه لَعَن مَن كفر مِن بني إسرائيل بيّن سبب ذلك؛ فقال سبحانه! ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠﴾ المائدة: ٧٨ – ٨٠، فذكر في هذه الآيات مجموعة من أفعالهم أوجبت استحقاقهم للّعنة، بينما ذكر في غيرها من الآيات أقوالاً لهم استحقوا بها ذلك؛ كما في قوله تعالى! ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ المائدة: ٦٤، وقوله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠﴾ التوبة: ٣٠.

وهكذا نجد في السور المدنية تعليل الأحكام التي حُكِم بها على الكفرة بأنّ سببها من عند أنفسهم؛ كما في قوله تعالى! ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٦١﴾ البقرة: ٦١، وقوله! ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤﴾ آل عمران: ٢٤ ، وقوله! ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ١١٢﴾ آل عمران: ١١٢، وقوله! ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣﴾ المنافقون: ٣ وكل هذه التعليلات إنما جاءت لبيان الأسباب التي أوجبت فساد عقيدة أولئك الكفرة والمنافقين، فاستحقوا بها عقوبة رب العالمين.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإنّ دراستي لموضوع (العقيدة في السور المدنية)، توصّلت منها لنتائج أهمها:

ى- أنّ القرآن الكريم وإن كانت موضوعاته متعددة في سوره المكية والمدنية، إلا أنّ موضوع العقيدة هو الموضوع الرئيس، وهذا من إعجاز القرآن وبراعة أسلوبه، فمهما تنوّعت الموضوعات التي تناولها، سواء ما كان منها في السور المكية أو في السور المدنية، إلا أنّ الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ظاهرة لمن تأمل، ولا غرو؛ فهو كتاب الله تعالى الذي قال عنه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ فصلت: ٤١ - ٤٢.

٢- أنّ السور المدنية لا تقلّ عن السور المكية في عنايتها بتقرير العقيدة، فقد تعرّضت بشكل كبير للمواضيع العقدية، سواء ما يتعلق بالتوحيد، أو بأركان الإيمان، أو بمسائل العقيدة عموماً، ولا تكاد توجد مسالة عقدية لم تتعرض لها السور المدنية.

٣- أنّ القول بأنّ الموضوع الرئيس في السور المدنية هو التشريعات والتنظيمات وليس العقيدة قولٌ غير دقيق، فالسور المدنية وإن كانت قد احتوت على التشريعات التفصيلية، وتناولت الأحكام العملية لبعض العبادات والمعاملات، إلا أنّ موضوع العقيدة هو الموضوع

الرئيس في كل سورها، بل إنّ تلك الأحكام والتشريعات تُربط بالعقيدة بشكلٍ أو بآخر.

ـ أما **التوصيات** فهي كالآتي:

٤- دراسة العقيدة كما عرضها القرآن، وذلك باستعراض تناول السور المكية لموضوع العقيدة، ثم السور المدنية بعد ذلك؛ ليتبيّن مقدار التكامل الموجود بينهما في عرض العقيدة، ويتّضح مقدار الاهتمام بهذا الموضوع في القرآن الكريم مكيِّه ومدنيِّه.

٥- إعداد موسوعة قرآنية تحوي جميع الآيات التي تناولت المسائل العقدية، ويُبيّن فيها كيفية ربط التشريعات والأحكام القرآنية بالعقيدة، كما يُوضّح بها الدلالات العقدية المستنبطة من عرض القصص والأخبار في القرآن الكريم.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث

الإتقان في علوم القرآن، لعبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة، سنة الطباعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة الطباعة: ١٤١١هـ.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، نشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت- لبنان، سنة: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥مـ.

إعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

الأنساب، للسمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي، المحقق: عبد الرحمن بن يحيي المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣م.

الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، المؤلف: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح، الناشر: مدار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣م.

البرهان في تناسب سور القرآن، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب، عام: ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، عام: ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.

التحرير والتنوير، للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر، تونس، غير محدد لسنة الطبع.

التفسير الحديث، المؤلف: محمد عزت دروزة، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، سنة الطباعة: ١٣٨٣هـ.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير، مكتبة دار الفيحاء دمشق ومكتبة دار السلام الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

التلازم بين العقيدة والشريعة، تأليف: د. طارق سعيد عبدالله القحطاني، طبعة: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، عبدالرحمن بن ناصر، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م.

الحبائك في أخبار الملائك، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

خصائص السور والآيات المدنية- ضوابطها ومقاصدها، تأليف: الدكتور/ عادل محمد صالح أبو العلا، الناشر: مؤسسة دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة، غير محدد سنة الطبع.

دراسات قرآنية، تأليف: محمد قطب، طباعة: دار الشروق- القاهرة، الطبعة السابعة، سنة: ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.

روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للألوسي، محمود أبو الفضل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

عالم الملائكة الأبرار، المؤلف: عمر بن سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، تأليف: محمد أحمد ملكاوي، طباعة: مكتبة دار الزمان، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.

العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، تأليف: الدكتور محمد عياش الكبيسي، طباعة: مطبعة الحسام- بغداد، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، عام: ١٤١٤ه.

القضاء والقدر، تأليف: الدكتور عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الثالثة عشر، سنة: ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م.

لباب التأويل في معاني التنزيل، تأليف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، المحقق: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٥ه.

اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد

معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، تأليف الدكتور: ناصر العقل، طباعة: دار الوطن، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٢هـ.

محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٨هـ.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة، سنة: ١٤٢٠ه - ١٩٩٩م.

المدخل لدراسة القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: مكتبه السنة - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، غير محدد سنة الطبع.

معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٢٠هـ.

مفاتيح الغيب، المسمى (تفسير الرازي)، أو (التفسير الكبير) لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

المكي والمدني في القرآن الكريم، تأليف: عبدالرزاق حسين أحمد، طباعة: دار ابن عفان- القاهرة، سنة: ١٤٢٠هـ.

موقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير، تأليف الدكتور: محمود علي أحمد البعداني، طباعة: مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٦-٢٠١٥م.

الهداية إلى بلوغ النهاية، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م

كغ غ